صادق حسن زادة



سر نجاح الحكماء

دار الهادي
بيروت - لبنان

سر
نجاح الحكماء



سر
نجاح الحكماء

صادق حسن زادة

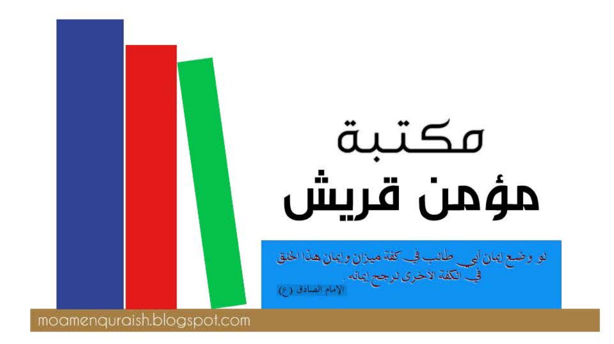
ترجمة

فاطمة طالب

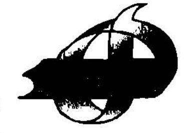


الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع



هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

إنَّ جميع الناس يحبون القصص ويميلون إليها بنحو وآخر، وقد يلازمهم هذا التعلق طيلة سنّي حياتهم ـ منذ الطفولة حتى الشيخوخة ـ إذ يجدون متعة في سماعها أو قراءتها. وكلما كانت القصة حقيقية، إزداد تفاعلهم معها واستمتاعهم بها، إلى الحد الذي تتملك فيه نفوسهم؛ ونلاحظ أن الشبان وطلبة العلوم خاصة، تقودهم الرغبة لمعرفة قصص حياة العظماء البارزين والأسرار الكامنة وراء نجاحهم ونبوغهم، لعلهم يقدرون على استثمارها واستخلاص العبر منها؛ من أجلِ تحقيق غاياتهم وأمنياتهم العلمية والمعنوية، وتقويم مسار حياتهم بالنحو السليم والصحيح.

ونجد كثيراً من هذه الدروس والعبر التي تستحق الدرس والنظر في سيرة العلماء وكيفية تصديهم ومجابهتهم لمختلف التحديات والمصاعب وأنواع المصائب والمشقات والآلام والحرمان، فما أروع الإطلالة والتعرف على من تعب «التعب» منهم، ويئس «اليأس» من حياتهم المفعمة بالأمل، حتى ارتقوا إلى أعلى مراتب السعادة وقممها الشامخة **بالإعتماد على النفس وشحذ الهمم وقوة العزم، والتدبير والتوكل**، وكم من أُناس استطاعوا ايجاد

تحول جدي في حياتهم، والنجاح في الإرتقاء إلى مراتب سامية في العلم والمعرفة والدين جرّاء قراءة تفاصيل سير وسلوك عظماء أمثال هؤلاء، واستخلاص العبر منها.

كما نجد أنّ الباري سبحانه وتعالى يتعرّض في محكم كتابه العزيز إلى ذكر حياة الأنبياء والأولياء عليهم السلام، والمعانات والإبتلاءات، سيما النجاح والإخفاق الذي واجهوه في حياتهم، من هنا نستدل وندرك استحالة إنكار **الواقع والتأثير العظيم والمدهش الذي تتركه القصص في النفوس؛ ومن جملة** ما أورده القرآن الكريم هو إلقاءه الضوء على «ثبات» النبي نوح عليه السلام في **سبيل الدعوة إلى دين الله، وصبر النبي أيوب عليه السلام على شتى الإبتلاءات والمصائب العظيمة، وتوكل النبي إبراهيم وشجاعته في محاربته للجهل والظلمات، والنبي يوسف عليه السلام في جهاده الأكبر وغير ذلك.**

فمن خلال القصة الواقعية يتاح للمرء اكتساب شمولية في الرؤية التي تعينه على رسم النهج المطلوب انتهاجه في الحياة، لأنها تعطيه نماذج حيّة وعينات ساطعة في تاريخ البشرية خلّدت آثارها ذكراً للبشرية، فهي بالتالي ليست اسطورة أو نسج خيال.

قد يتصور بعض الشبان أن الأساس في نجاح الإنسان وتفوقه هو أن يكون «نابغة» و«عبقرياً» لكن المسألة ليست كذلك، وإن كان لكلا هذين العاملين دورهما الفعال والمؤثر؛ فكم من أشخاص نعرفهم استطاعوا برغم قابلياتهم المتوسطة، بل حتى الضعيفة، أن يصلوا إلى أعلى مراتب العلم والمعنوية، نتيجة السعي وبذل الجهد وتحمل المصاعب، والتخلي عن الملذات الآنية والقصيرة الأمد، وكم من أشخاص كانوا جديرين ويمتلكون المؤهلات والقابليات الكافية والوافية، إلا أنهم فشلوا في ذلك نتيجة الغرور والإعجاب بالنفس والتراخي. لذلك لم يحالفهم الحظ، لذا علينا أن نوقن بأنّ التمتع بالذكاء الخارق ليس مهماً، إنما استخدام الذكاء والطاقات

والقابليات هو المهم والبنّاء، طبعاً هناك عباقرة حظوا بالأمرين معاً، فقد كانوا يتمتعون بالذكاء البالغ، وبذلو بالوقت نفسه جهوداً خارقة. حيث يقول الشهيد السعيد السيد محمّد باقر الصدر (رضوان الله تعالى عليه):

«عندما انطلقت بطلب العلم والتحصيل، كان جهدي ونشاطي يعادل نشاط خمسة طلاب نشطين، ومع أنني كنت في منتهى الفقر والحاجة، إلا أنني تخليت عن كل شيء في سبيل الدرس»[١].

أمّا آية الله المدني الكاشاني فيحدثنا عن فترة تحصيله قائلاً: «لقد بلغ انشغالي بالدرس الحد الذي لم أجد فيه متّسعاً من الوقت حتى بمقدار خمس دقائق أجري فيها حديثاً خاصاً مع أحد[٢]».

إذا عرف الإنسان الطاقات والقابليات الذاتية التي يمتاز بها، وعمل على استثمارها في الوقت المناسب، إلى جانب العوامل الخارجية من قِبل: حُسن الإستفادة من الوقت والفرص ومراعاة النظام، ووضع خطط وبرامج دقيقة، وأحسن اختيار الأستاذ وغير ذلك؛ يستطيع تحقيق وبلوغ مراتب لم يكن بمقدوره تصورها في بداية الأمر.

عندما يدخل بعض الشباب إلى المحافل العلمية والثقافية، قد يضطر أحدهم لصرف سنين من عمره ليدرس مادة لا تحتاج لأكثر من سنة، وقد تعتريه حالة من اليأس والفشل وهو في وسط الطريق، كل ذلك نتيجة لجهله بالطرق والأساليب الصحيحة والسليمة والناجحة التي كان ينبغي عليه سلوكها والاعتماد عليها في دراسته بما يضمن له اختصار الطريق وتوفير الجهد والوقت. لذلك ينبغي على الطالب أن يعي هذا الأمر من بداية انطلاقه ودخوله إلى حرم الحوزات العلمية أو الجامعات، فيقرأ ويتعرف آداب

(١) سيرة الصالحين: ٤٧٧.

(٢) الميراث الخالد: ٤, ٥١.

التعليم والتعلم، وأساليب العظماء، والطرق التي سلكوها ليقوم بتطبيقها عملياً في حياته. ولقد أُلفت كتب كثيرة في هذا المجال أذكر البعض منها على سبيل الإختصار:

١ ـ «آداب المتعلمين» للعلامة نصير الدين الطوسي (رحمه الله).

٢ ـ «منية المريد» وهو كتاب قيم جداً من آثار الشهيد الثاني (رضوان الله عليه).

٣ ـ «قصص العلماء» تأليف الميرزا محمد التنكابني (رحمه الله) وحول هذا الكتاب يقول آية الله نجومي: «لعل الكثير من اتباعنا يبدي بعض الملاحظات على كتاب قصص العلماء، وملاحظاتهم هذه صحيحة طبعاً، وقد تكون في محلها، ولكني أنا أعتقد أنه مفيد جداً، خاصة للطلبة والمبتدئين في طلب العلم، ويعينهم على بناء أنفسهم[1].

٤ ـ «سيرة الحكماء» تأليف الأستاذ رضا مختاري، وهو كتاب قيم ومفيد. وأما الكتاب الذي بين أيديكم وأصله بالفارسية مفتاح السعادات فإنه يأتي في سياق كتاب (سيرة الحكماء) المشار إليه، من هنا لم أعمد إلى نقل أكثر من موضوعين منه حرصاً على عدم تكرار المواضيع، وأنصح الإخوة بقراءته لما يتضمنه من فوائد وموضوعات متينة ومعمقة[2].

الكتاب الذي بين يديك أيها القارىء العزيز، هو إطلالة على حياة كبار العلماء ومراجعنا العظام حيث يطلعك على ما احتوته حياتهم من تجارب بنّاءة، إنهم علماء حاموا كالفراشات حول الشموع، حتى تلألأت أسماءهم وتخلدت، علماء قاموا بانجازات عظيمة وهائلة ضمن إمكاناتهم المحدودة

---

(١) الميراث الخالد: ٢, ٢٣.

(٢) يتألف هذا الكتاب من ٣ مجلدات إلا أنه لم يطبع حتى الآن إلاّ المجلد الثالث الذي لاقى اقبالاً من القراء.

وقضاء معظم حياتهم في المنفى (النفي والإبعاد) والسجون والتعذيب والتقية وغير ذلك، ومع ذلك قدموا لنا آثاراً قيمة وخالدة.

ومن جملة هذه الآثار نذكر لكم:

«بحار الأنوار» للعلامة المجلسي (١١٠ مجلدات)، وإحقاق الحق **للعلامة الشوشتري، و«جواهر الكلام» لآية الله العظمى الشيخ محمد حسن النجفي (٤٣ مجلد) الذي يقول الإمام الخميني (قده) في وصفه: «لعل مئة شخص يعجزون عن تأليف كتاب مثله»! وهكذا الحال بالنسبة لعظماء من أمثال الشهيد الأول والعلامة نصير الدين الطوسي وغيرهم الذين تولوا مهمة تدوين الفقه والفلسفة في المنفى والسجون بالرغم مما كانوا يتعرضون له من الضغوط والمشاكل الروحية والجسدية.**

إنّ قراءة كتاب «سر نجاح الحكماء» تمنح الشباب نوعاً من الطمأنينة والثقة العالية بالنفس في التغلب على المصاعب وتذليلها، وإزالة روح الهزيمة أو الشعور بالفشل في النفس، وذلك من خلال بذل الجهود ومضاعفة النشاط والعمل على اكتساب العناية الإلهية الخفية. وإن الإرادة الفولاذية لا تعرف معنى للحدود وعبارة «مستحيل» أو الاستحالة لا تعني لهم شيئاً. وإن بإمكانهم اجتياز هذه الحدود للوصول إلى أرض الممكن، كما أن هذه الاطلالة تأخذ بالشباب إلى رؤية أصحاب الأشجار المفعمة بالخضرة، والتعلق بالله وفيضه، ليحطوا رحالهم في أرض السعداء وقلوبهم مليئة بالأمل ليقوموا باكتشاف وتنمية طاقاتهم وقدراتهم المخزونة في نفوسهم ونفوس الآخرين من خلال الابداع والتجديد، ويدعوا باقي الشباب إلى هذه البقعة الجميلة التي تستهوي القلوب.

صادق حسن زاده

قم - ١٩٩٧م



الفَصل الأوَّل

في عشق الهدف

من شروق الشمس إلى شروق الشمس

يروي «آية الله بهاء الديني» بعض ذكرياته في مراحل تحصيله وطلب العلم قائلاً:

«كان حبي للتحصيل وطلب العلم آنذاك إلى حد أصبح كل شيء في حياتي هو الكتاب والدرس والمباحثة والمطالعة مع جلسائي. فلم أكن استأنس بإجتماع أو مجلس أو برنامج بقدر أنسي بالدرس، حيث وصل نشاطي اليومي في حداثة شبابي إلى ستة عشر ساعة باليوم!... وبالرغم من أن المسافة بين حجرتي في مدرسة الفيضية لم تكن تبعد عن بيتنا أكثر من ألف خطوة، إلا أنني لم أضع قدمي خارج المدرسة مدة سنة كاملة، وكنت طوال الوقت منشغلاً بالدرس. ملتقاي مع الأهل كان في المدرسة أو في الحرم (مرقد السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام بنت الإمام الكاظم عليه السلام)... وكنت قد تعودت حينها على الإستيقاظ قبل طلوع الفجر، ومع شروق الشمس أكون منشغلاً بالدرس والتباحث. واستمريت على هذه الحالة عدة سنوات، وأحياناً كنت أتلقى درسان قبل أذان الصبح ودرسان آخران بعد صلاة الصبح. ومع شروق الشمس نكون قد أنتهينا من ثلاثة أو أربعة دروس[١]».

(١) آية البصيرة، ص٣٤ ـ ٣٦.

سيأتي حتى لو أمطرت السماء حجارةً

تحدث «آية الله ستودة» لمجلة الحوزة العدد ٩ قائلاً:

«في إحدى السنوات كنت أُدرس كتاب «شرح التجريد» وقت الشروق. وفي أحد أيام الشتاء ذهبت إلى الدرس بينما كانت السماء تمطر ثلوجاً بكثافة، وإذا بأحد الإخوة الطلاب يقول: قلت لزميلي في حجرتي بأنني لن أذهب اليوم إلى الدرس لأن الأستاذ آية الله ستوده لن يأتي نظراً لرداءة أحوال الطقس. فقال لي: بل إذهب وتأكد بأن أستاذك سيأتي حتى لو أمطرت السماء حجارة».

مواصلة الدرس رغم موت الولد

فقد «الأديب الثاني النيسابوري» ستة من أولاده واحداً تلو الآخر، ولكنه رغم ذلك لم يصب بأي جزع. وذات يوم سأله تلامذته عن صحة أحد أبنائه، وكانوا على علم بمرضه وبالمساعي والجهود الحثيثة التي يبذلها أستاذهم في سبيل مداواته. فبدأ الدرس وقال: مات الولد! بسم الله الرحمن الرحيم... وأكمل الدرس[1]!!

المثابرة على العلم حتى على فراش الموت

«كانت صحة «الميرزا الشيرازي الكبير صاحب فتوى تحريم التبغ تزداد تدهوراً بعد وعكته الصحية الأخيرة، وكانت البرقيات تتوافد إليه من مختلف أرجاء البلاد والعالم. وكلما قرأوا لسماحته برقية من أن فلان صاحب

---

(١) مذكرة النيسابوري (يادنامه) ص٣٦٠.

المنصب السياسي الرفيع الفلاني في تركيا أو سفير البلد الفلاني يريدون الإطمئنان عن صحتكم، لم يجبهم بأي شيء. بينما كانت الأمور تسير على هذه الحالة، وإذ ببعض الحاضرين تخطر بباله فكرة لعله يستطيع من خلالها دفع الميرزا إلى التحدث. فوجد أن يستغل حب الميرزا وتعلقه الشديد بالقضايا الفقهية، فما كان منه إلا أن طرح سؤالاً فقهياً عليه: سيدي، ما تقولون عن أسفل القدر المحروق؟

فأجابه الميرزا: لا يمكن القول بأنه حرام. لأنه إما أن يكون من الخبائث وهو ليس كذلك، وإما من المسكرات وهو ليس كذلك، وإما أن يكون مضراً وهذا ليس معلوماً[1]».

شدّة التعلق بالعلم

يروي «آية الله العظمى الشيخ موسى الزنجاني» حادثة عن المرحوم الميرزا الشيرازي الكبير قائلاً:

«ذات يوم لدغ عقرب الميرزا، فكان صوت أنينه يسمع من بعيد. فأحب بعض أصدقائه وتلامذته أن يشغله بشيء لعله ينسى الألم شيئاً ما، فاستغلوا شدة شغفه بالمسائل العلمية وطرحوا عليه مجموعة من الأسئلة الفقهية، فدخل الميرزا (رحمة الله عليه) في بحث استغرق ساعتين أو ثلاثة، ونسي طوال هذه المدة آلامه كلياً!»[2]

الهدف المقدس

«كان الشوق إلى المطالعة والتحقيق قد ملك قلب «العلامة السيد

---

(١) شرح الأحوال لآية الله الأراكي ص ٥٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٨٠.

محمد حسين الطباطبائي رضوان الله عليه» فينقل أحد تلامذته البارزين عنه أنه كان قد حذره الأطباء من المطالعة والكتابة، إلا أن تفسير الميزان ـ هذا الكتاب القيم ـ ألفه العلامة بعد تلك التحذيرات!!»

شغف بالعلم

يحدثنا «آية الله الشيخ على الصافي» عن آية الله العظمى البروجردي (رضوان الله تعالى عليه) قائلاً:

«لم يكن هذا العظيم ليملّ أو يتعب البتة من المناظرات العلمية والمطالعة. أذكر أنه كان يرهق أحياناً من شدة الأعمال اليومية والمراجعات، فيذهب إلى الإستراحة رافضاً أي مقابلة مع المراجعين، وبينما هو في هذه الحالة من شدة التعب والإرهاق، كنا إذا سألناه سؤالاً عن مطلب علمي ما، ينهض حالاً ويجلس ليبدأ بالإجابة على سؤالنا والتباحث معنا ومناقشتنا وكأن تعبه زال كلياً.

قلت لسماحته: لقد قلت للتو أنك متعب ويجب أن تستريح. فأجابني أنا لا أتعب من الجهد العلمي.

وكان في بعض الأوقات يبدي أسفه قائلاً: عندما كنت في (بروجرد)، كنت أجد متسعاً من الوقت أتفرغ فيه للمطالعة والتحقيق، إلا أنني هنا أجد نفسي منهمكاً في أمور تحول بيني وبين التحقيق[1]».

بارقة أمل

يطلعنا «آية الله الميرزا الشيخ علي المشكيني» رئيس مجلس خبراء

---

(١) مجلة الحوزة، العدد ٤٣، ص١١٣.

القيادة، وإمام جمعة مدينة قم المقدسة على سيرة حياته وبداية انطلاقته قائلاً:

«كان والدي رحمه الله كثير التعلق بالدروس القرآنية ودروس التفسير وأحكام الدين. ومع أنه كان من تلامذة الإصفهاني والنائيني، إلا أنه كان يرى أنه لم يتوفق لبلوغ مراده بالمقدار الذي كان يريده لأنه بدأ دراسته متأخراً. لذلك كان يحثني على الإلتحاق بهذا الركب، وأوصاني ذات يوم قائلاً: ألقاك مسودّ الوجه يوم القيامة إن لم تعمل بوصيتي وتتابع هذه الدروس الحوزوية.

ثم قال لي لاحقاً: عليك أن تنهي دراسة مجلدين من (شرح اللمعة) بالحد الأدنى....

وبعد وفاة الوالد، بتنا أيتاماً ولم نكن نملك شيء... قصدنا مدينة (أردبيل) مشياً على الأقدام، حيث تبعد عن قريتنا أكثر من عشرة فراسخ ـ ٦٠ كيلومتراً ـ وبما أننا لم نجد مكاناً للسكن أضطررنا يومها للعودة من حيث أتينا.

بعدها قمنا بمحاولة أخرى قاصدين المدينة ولا اذكر هل امتطينا حماراً في محاولتنا الثانية أم ذهبنا مشياً على الأقدام. فالتقينا بأحد الأصدقاء في (أردبيل) فقال لنا بأن التدريس هنا ليس بالمستوى الجيد والمطلوب، واقتراح عليّ الذهاب سوياً للدراسة في (قم). وقد كان لكلامه أثر كبير في نفسي، لذا قررت الذهاب معه. بعدها وجدنا صديقاً آخراً وأصبحنا ثلاثة بينما كنت متحيراً ماذا نفعل، فلم نكن نمتلك مصاريف الطريق. رأيت حلماً في منامي تحقق لاحقاً كالمعجزة...

وصلنا إلى (قم) بعد أن كنا قد بذلنا أثناء الطريق أكثر من نصف ما كان لدينا من نقود. فقال لنا بعض الأصدقاء هنا: عجباً كيف تأتون إلى (قم) وأنتم لا تملكون سوى تومانين من المال؟

كان الذهاب والإياب آنذاك صعب ومشكل، ووسيلة الإتصال أيضاً كذلك. علم أساتذتنا بأمرنا وبشدة انزعاجنا من قلة المال. فقالوا لنا: فليفترض الواحد منكم أنه جاء إلى هنا بمقدار كبير من المال، وأنه بقي سنة كاملة، والآن انتهى ما كان لديه من نقود، وليفعل اليوم ما كان سيفعله لو كان بهذه الحال.

نحن بدورنا توكلنا على الله وقررنا البقاء مُسلّمين أمرنا إلى الباري. . . وهو الذي كان يرزقنا، وكنا شاكرين له في كل أيامنا سواءً كانت يسيرة أم عسيرة، نسعى للتحلي بالصبر والتحمل في جميع الأحوال، والآن وإن لم نبلغ شيئاً، لكن عمرنا بلغ ما هو عليه الآن»[1].

تنمية الفكر

يـروي «آيـة الله السبحـانـي» عـن المـرجـع الأعلـى آيـة الله العظمـى البروجردي قدس الله سره، أنه حدثهم أنه في إحدى الليالي أخذ يفكر ويكتب عن إحدى المسائل الأصولية (مسألة الترتُّب) فاندمج بالمطالعة والتفكير وتدوين الأمور إلى حد أنه لم يلتفت إلى تألمه من عدم النوم، وفجأة سمع صوت المؤذن، فأدرك بزوغ الفجر وسهره من المساء إلى الصباح[2].

مفكر بارز وفقر مدقع

(آية الله العظمى الأخوند محمد كاظم الخراساني) الذي ذاع صيته في الحوزات العلمية الإسلامية، وكتابه (كفاية الأصول) معروف ومشهور، وما يزال يدّرس منذ عقود، كان من قادة الحركة الدستورية، وقدم في سبيلها

---

(١) مجلة نداء الثورة، العدد ٥٠، ص١٥ ـ ١٦.
(٢) نقلاً عن كتاب سر انتصار العظماء ص٢٣.

خدمات جليلة. هذا الفقية والأصولي المعروف والقائد السياسي تحدث عن فترة دراسته فقال:

«عندما انتهى الدرس، نظر إليّ الشيخ الأنصاري وقال: أراك تجلس بأدب بالغ أيها الأخوند؟

فأطرقت رأسي، ولففت عباءتي علي اكثر، وبرزت تقاسيم الإنفعال عليَّ.

عندها أدرك الشيخ الأنصاري أني لا ألبس شيئاً تحت عباءتي سوى جبتي، وإنما ألف جسدي حتى رقبتي لئلا يلتفت أحد لعدم وجود الملابس والحذاء، فلم أكن أملك حينها سوى تلك العباءة والجبة وحذاء بلا كعب، أسير به بروية لئلا تتنجس قدماي، بحيث كنت اضطر أحياناً لتطهير قدماي ثلاث مرات في اليوم، فرآني أحد الطلاب فرقّ لحالي وأعطاني زوج حذاء مندرس، فشعرت وكان الدنيا قد أقبلت عليّ.

نعم يومها أدرك الشيخ الانصاري انني لا ألبس سوى جبتي، وقد لففت نفسي بها حتى رقبتي مما أظهرني بمظهر المؤدب، فأمر بإعطائي دشداشة.

لقد مرت عليَّ اربعون عاماً لم أتناول خلالها اللحم ولم أحلم به، وكان غذائي الوحيد هو التفكير، وكنت راضياً بتلك الحياة وقانعاً، ولم اتفوه بكلام يظهر عدم رضاي عن حياتي تلك»(١).

بطن خاوية ومطالعة ممتازة

تحدث (آية الله العظمى الأخون الخراساني) عن فترة دراسته فقال:

«كانوا يعطونني مالاً لشراء الشمع، لكني كنت أقضيها في الظلام، وأعطي المال لمن هو أكثر منيّ فقراً، وآخذ كتابي الى بيت الخلاء لأقرأ

---

(١) مجلة نداء الحوزة، العدد ٧، ص٨٥.

تحت مصباحه، ولم يكن باقي الطلاب يلتفتون لذلك إلا من كانوا أشد منّي فقراً.

ولم أكن أنام أكثر من ستة ساعات يومياً، ولأن معدتي خاوية لم يكن نومي ثقيلاً، فكنت انهض في الليالي واتحدث الى نجوم السماء وأسامرها. وكنت أسلي نفسي بالتفكير كيف كان أمير المؤمنين عليه السلام يحيي لياليه هكذا. **ورغم فقري وبؤسي كنت أحس أني أحلّق في عالم علوي وأن هناك قوة تجذب روحي نحوها... نعم لقد قضيت ثلاثين عاماً لم يتعدّ طعامي الخبز»**[1].

محب للعلم

تحدث (العلامة الشهيد مرتضى المطهري) عن نماذج من حب العلم والشغف به فقال:

«المرحوم السيد محمد باقر الأصفهاني ـ العالم الديني المعروف ـ كان في ليلة زفافه، فدخلت النسوة الى غرفة عروسه ـ غرفة النوم ـ وأطلن البقاء فيها، فخرج السيد من الغرفة حال دخولهنّ، وذهب الى غرفة أخرى. فوجد أمامه فرصة مناسبة للمطالعة، فاستغلها في ذلك دون أي تردد. وفي أواخر الليل، خرجت النسوة من غرفة العروس وعدن إلى بيوتهنّ وبقت العروس المسكينة وحيدة في الغرفة تنتظر قدوم العريس دون جدوى، فطلع الصباح ولم يأت السيد.

وهذا يعني أن قوة جاذبية العلم دفعت بهذا الرجل إلى نسيان عروسه في ليلة زفافه»[2].

(١) مجلة نداء الحوزة، العدد ٧، ص٨٦.

(٢) حكايات وهدايات ص١١٢.

التركيز على الدراسة

يُعتبر «العلامة الملاّ محمّد النراقي» من علماء الطراز الأول وفي أعلى مستوى العالم الإسلامي. فعلاوةً على تفوقه في شتى العلوم كالفلسفة والرياضيات والفقه. كان ذو شخصية عظيمة وإرادة صلبة. وعلى مستوى **الصبر والتحمل أيضاً قلما نجد نظيراً له بين العظماء.**

فكان (رحمه الله) شديد الحرص على طلب العلم، شديد الفقر بحيث لم يك يملك ما يمكنه من شراء زيت للمصباح، إلا إن كل ذلك لم يحول دون إرادته وعزيمته على مواصلة التحصيل وطلب العلم؛ فكان يضطر به الأمر للذهاب للمطالعة تحت ضوء مصباح دورة مياه المدرسة، ولم تسمح له عزة نفسه يوماً بالبوح لأحد بفقره ومعاناته.

وعن مدى شغفه بطلب العلم يذكر أنه عندما كان في (إصفهان) تتلمذ على يد الملاّ الحكيم إسماعيل الخاجوئي، وكانت تصله رسائل من ذويه وأقاربه، فكان يستلمها ويضعها مباشرة تحت فراشه دون فتحها أو أن يقرأها وذلك خشية احتوائها على مطالب تشغل فكره أو تحول دونه ودون مواصلة نهجه.

وعندما توفي والده لم يشأ الذهاب إلى مسقط رأسه (نراق) رغم العديد من البرقيات التي كانت تفيد بأن والده قد قتل وأنّ عليه الحضور حالاً. . . فتدخّل أستاذه وحاول اقناعه بالذهاب دون جدوى، إلى أن اضطر أن يأمره بالذهاب إلى (نراق) فذهب. لكنه على الرغم من معاناة السفر في ذاك الزمان حيث لم يكن بسهولة عصرنا هذا من ناحية وسيلة النقل و. . . وبالرغم من أن سفره هذا كان بناءً على أوامر أستاذه، لكنه لم يلبث سوى ثلاث أيام في (نراق) وعاد إلى إصفهان لمواصلة دراسته.

السبب في تأخر الأستاذ في المجيء إلى الدرس

يروي أحد العلماء الأفاضل هذه الواقعة:

«في زمن المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري، كنا نحضر دروس آية الله العظمى الگلپايگاني، فذات يوم تأخر سماحته قليلاً عن الحضور في الوقت المعتاد، وعندما حضر قال: تأخرت لأن ولدي اختنق ومات في حوض الماء داخل المنزل، فانشغلت بأمور تجهيزه وكفنه ودفنه.

ويقول آية الله كريمي الجهرمي: عندما سمعت سماحة آية الله الگلپايگاني يروي هذه الحادثة سألته عن ولده هذا كم كان له من العمر فأجاب: كان طفلاً في السادسة من العمر تقريباً»[1].

غفل عن الطعام

«ورد عن المحقق الكبير «السيد جمال الخونساري رضوان الله تعالى عليه» أنه جيء له بطعام العشاء (على سدرٍ) ووضعوه له جانباً ليتناوله، بينما كان منشغلاً بالمطالعة، فلم يلتفت إليه حتى طلع الفجر وأُذن أذان الصبح، عندها انتبه إلى السدر، فقال: لم التفت إلى طعام العشاء إطلاقاً»![2].

مصفرّ الوجه

يروى عن سيرة حياة «المرجع آية الله العظمى المرعشي النجفي قده» هذه القصة:

---

(١) شمس الفقاهة ص٦٠.

(٢) تذكرة العلماء ص١٤٤.

«عندما توفي والده سنة ١٣٣٨ للهجرة كان له من العمر ٢٣ سنة تقريباً فأصيب بحالة شديدة من الفقر والعوز، بحيث كان في الكثير من الأيام يبقى جائعاً.

وقد صرّح سماحته باحدى هذه الحالات قائلاً: عندما كنت أقطن في مدرسة (القوام) ذات مرة بقيت عدة أيام لم أجد طعاماً أتناوله. فمال وجهه **إلى الإصفرار من شدة هذا الجوع الذي سلب منه الكثير من قوته»**[1].

لذة الدرس

فخر العالم الإسلامي «العلامة نصير الدين الطوسي» يصف لذة الدرس وطلب العلم بأبيات من الشعر ننقل ترجمتها:

الملذات الدنيوية كلها لا تساوي شيئاً عندي، فمن انقلاب الدهر لا خوف ولا جزع عندي، فأطيب الأوقات للتنعم والترفه والترف ليست إلا وقت مطالعتي وسهري على الدرس[2].

الإكتفاء بالخبز والبصل

يحدثنا «الدكتور السيد محمّد الخونساري» عن أستاذه العلامة الفاضل التوني قائلاً:

«لم يكن لإستاذنا أقارب أو معارف في (اصفهان) أوائل التحاقه بركب العلم والتحصيل في هذا البلد، ولكونه لم يك صاحب مرتبة معينة بداية دراسته قسى عليه الزمان كثيراً. ففي الكثير من الأوقات كان يعجز عن تأمين

(١) شهاب الشريعة ص٣٠٣.
(٢) مجالس المؤمنين ٢/ ٢٠٨.

ما يسدّ به رمق جوعه، وإن وجد شيء فلم يكن يتجاوز الخبز والبصل أو الخبز واللبن أو خبزاً مع قطعة من الجبن. ورغم كل تلك المعاناة لم يشأ يوماً البوح لأحد عن معاناته، مفضلاً إخفائها بينه وبين بارئه.

وقد روى لي يوماً أنه مع دخول أول شهر الصيام في هذا البلد، كم عانى من الجوع. فكان في الإفطار والسحور يكتفي بقطعة خبز مع بصلة أو قليل من اللبن. ونتيجة لعزة النفس لم يخبر أحداً عن معاناته. وعندما كان **الأخيار من التجار يدعون الطلبة للمشاركة في مراسم إفطاراتهم، كان أستاذنا يعتذر عن تلبية الدعوة خشية التقصير في الدرس»**[1].

* * *

(١) تعليقة الفصوص، مقدمة الخونساري ص٣.

الفصل الثاني

في

بذل الجهد والعزم وشحذ الهمم

إنتاج عظيم ببذل قليل

إطلالة على «آية الله حسن زاده الآملي» على لسان الدكتور محمد جواد اللاريجاني (وزير الثقافة الإيراني الأسبق):

«لو سألنا المحققين والعاملين في الحقول العلمية اليوم عن أسباب انخفاض نسبة الإنتاج العلمي، لعزى معظمهم السبب إلى قلة توفر الامكانات.

نعم، لا يمكن نفي هذا الكلام، إذ لا توجد إمكانات هائلة بين أيدينا، إلا أن هناك سؤال أهم يفرض نفسه بقوة على هذا الصعيد، ألا وهو: أليس بالإمكان تحقيق إنجازات وأعمال عظيمة ضمن الإمكانات المحدودة؟

أعتقد أن المنحى العملي أو السلوك الذي انتهجه أستاذنا الجليل آية الله الآملي، يقدم لنا أكبر إنموذج يحتذى به على هذا المستوى، وقد لا نجد له مثيلاً.

ففي عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥ كان لنا شرف عظيم عندما وفقنا للتتلمذ في بعض الفنون من الرياضيات والمتون القديمة على يد سماحة آية الله الآملي في مدينة قم المقدسة. حيث كنا نحضر عند سماحته كل صباح قبل طلوع الشمس بساعة.

فسماحته آنذاك كان قد أرسل زوجته وعياله إلى الريف، نتيجة للضائقة والمشكلات المعيشية، وكان يسكن وحيداً في غرفةٍ صغيرة وبسيطة ليتابع فيها نشاطه العلمي.

وفي الغرفة الصغيرة هذه كان لديه مصباح زيتي صغير (طباخ) يستعمله

في تدفئة الغرفة في الشتاء وفي تحضير الطعام؛ إلا أنه استطاع في هذه الغرفة المتواضعة القيام بأعمال عظيمة منها: إعراب كتاب (أصول الكافي) الشريف، وتأليف العشرات من المؤلفات والكتب ككتاب: «القبيلة» وشرح «أكرمنا» للأووس وغير ذلك.

فما الذي كان يتمتع به سماحته فلم يكن لديه مكتب للعمل، ولا تلك الإضاءة والمصابيح الكافية، ولا التكييف والتدفئة، أضف إلى أنه لم يكن **يتقاضى شيء من بدل كافٍ عن التحقيق ولا التدريس!**

إن ما أريد قوله ليس أن علماءنا لا يستحقون حياة مريحة هنيئة. لا بل العكس، إنني ممن اعتقد بضرورة ووجوب رفع همّ المعيشة وأعبائها عن كاهل العلماء والمحققين. لكن ما أريد قوله أن باستطاعتنا إنجاز الكثير من الأعمال العظيمة حتى ضمن الإمكانات شبه المعدومة وهذا ما نستخلصه من سيرة حياة هذا العظيم أيضاً.

وأعتقد أن تحلّي الجيل الصاعد والمتطلع إلى العلم والمعرفة في إيران الإسلامية يشكل سرّ ومفتاح نجاحه»[١].

العبقري ييأس من فهم الفلسفة

ورد عن سيرة حياة «الشيخ الرئيس ابن سينا» هذه القصة:

«لقد صبّ ابن سينا كل جهده واهتمامه على دراسة وفهم المنطق وباقي العلوم الفلسفية، على مدى سنة كاملة لم ينم إلا بالمقدار الضروري جداً بحيث لا يؤثر عدم نومه على فعالية قواه النفسية. أما من ناحية المأكل فلم يتناول سوى المقدار الذي يمنع به تحكم الضعف في جسمه. وللتغلب على النعاس كان يتناول شيئاً من الشراب المركب المركز.

---

(١) صحيفة همشهري ٢٢/٥/١٩٩٦م، ص٦.

وكان كلما واجه صعوبة في فهم مسألة معينة في المنطق أو سائر العلوم تطهّر وتوضأ وقصد المسجد الجامع الكبير لمناجاة ربه بالإستغاثة والدعاء حتى يُكْشف إليه اللغز المكتوم وتنقشع أمامه الحلول. كما يسجل أنه كان حريصاً ومداوماً على القراءة والمطالعة وتقرير المطالب إلى أن نجح في الإحاطة بجُلّ العلوم والفنون. وفي مرحلة لاحقة شرع في دراسة كتاب (ما وراء الطبيعة) الذي يسمى أيضاً (ما قبل الطبيعة) أو (العلم الأعلى) و(العلم الكلي) أو (الفلسفة الأولى). ولكون هذا العلم يأخذ بالبحث أموراً مجردة عن المادة من حيث وجودها الخارجي والذهني كذات الباري والمجردات، واجه الشيخ مشكلة كبيرة في فهم هذا الجانب العلمي، فسيطر عليه الشعور باليأس من نفسه رغم جودة ذهنه وحدّة ذكائه، فوصل به الأمر إلى حد أعرض فيه عن المطالعة، إلى أن أصيب بحالة من الإحباط وتعكر المزاج والإضطراب والتألم الروحي، استمر أياماً على تلك الحالة إلى أن مرّ ذات يوم بسوق النجارين، وإذا بأحد بائعي الكتب يرى ابن سينا من بعيد فيسرع ليعرض عليه كتاباً كان يحمله بيده، أخذ الشيخ الكتاب ليقرأ منه أسطراً محدودة فوجد أنه يتناول البحث في علوم ما وراء الطبيعة، فتردد في شرائه خاصة أنه كان منزجراً من هذا العلم. وبينما هو على هذه الحالة من التردد، بدأ البائع بترغيبه بشراء الكتاب قائلاً: إن مالك الكتاب هذا وكلني ببيعه ولو إزاء ثمن متواضع لشدة حاجته للمال، فلئن أعطيت ثلاث دراهم تملكته وسيكون لك حق التمنن والتفضل عليّ وعلى (صاحبه).

هنا قرر الشيخ دفع بضعة دراهم ثمناً للكتاب ليس رغبة في شرائه بل مداراة لصاحب العرض ولقضاء حاجة مالكه. ثم اكتشف أن هذا الكتاب هو من مؤلفات الأستاذ الكبير أبو نصر الفارابي المكنّى بالمعلم الثاني، وأنه أُلف في بيان أغراض وأهداف ما وراء الطبيعة.

فبدأ بقراءته دون أمل، إلا أن العناية الإلهية ومشيئته وفيضه اللامتناهي شاءت أن يفهم ابن سينا فحوى الكتاب وحل عقدته من فهم ما كان صعب عليه فهمه بسهولة، فغمرته البهجة والسرور، وأحس بسعادة كبيرة لا توصف. وأداءاً لواجب الشكر والإمتنان للخالق الذي هيىء له أسباب هذا التوفيق، قرر تخصيص قسطاً من أمواله لإنفاقها على الأيتام والأرامل»[1].

الهمة العالية

يرى (آية الله حسن زاده الآملي) أنه إذا أراد طالب العلم التحصيل يستطيع أن يصبح أديباً وفقيهاً في نفس الوقت، ويمكنه أن يصبح عالماً بالرياضيات وطبيباً أيضاً...

أما أن أقرر أن أكون عالماً في مجال واحد، فهذا خوف واستوحاش من الدراسة والتحصيل. فأبن سينا يذكر في كتاب (الشفاء) إن الذين يخافون التحصيل وطلب العلم ويقولون: كفى نحن لا نريد معرفة كل شيء. هؤلاء مزاجهم غير معتدل، أي أنهم مرضى المزاج، مصابون بداء روحي ونفسي أو مرض حب الدنيا والرغبة فيها. وهذا الداء يشدّ المرء نحو الدنيا والمادة دون أن يشعر بمرضه.

فشخص من هذا النوع ينبغي عليه معالجة نفسه، ويجب على الإنسان أن لا يكلَّ من الدراسة والتحصيل، خاصة من يريد التعرف على منطق الوحي ولغة الولاية، فلسان حال طالب العلم يعبر عنه بهذا البيت من الشعر:

أسعى ما دامت الروح في جسدي   إلا إذا شربت من كأسه قطرة

---

(١) رسالة طلبة العلم ١/ ٩٢.

طالب العلم يدرس جيداً، ويصبح صاحب إبداع في شتى العلوم والفنون إلا إذا كان مغفلاً[1].

مطالعة معمّقة وهمة مدهشة

قرأ «آية الله العظمى السيد محمد كاظم الطباطبائي المشهور بصاحب العروة» **قراءة كتاب (جواهر الكلام) [وهو ٤٣ مجلداً] ستة مرات من أوّله إلى آخره مع استدلال وتحقيق. إن ذلك عمل عظيم ليس بالهين وليس مزاحاً**[2].

الهمة على العبادة

«. . . إن هذا الرجل العظيم (الشيخ حسن علي الأصفهاني) أحيا كل ليلة جمعة مرّت عليه في حياته منذ أن كان عمره سبع سنوات بالتعبد والنافلة.

وعلى مدى ٧٥ سنة، صام كل الأيام البيض من كل الأشهر. وفي بعض السنين كان سحوره وإفطاره على مدى ثلاث أيام من الأيام البيض (ماء) فقط. إذ كان يقتدي بعمله هذا بأمير المؤمنين علي عليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام والإمامين الحسنين عليهما السلام. وكان أحياناً يبقى في محرابه ١٨ ساعة متوالية بين قيام وقعود وركوع وسجود وذكر ودعاء دون أي شعور بالكلل أو الملل»[3].

---

(١) مجلة الحوزة العدد ٢١ ص٣٣.

(٢) شرح حال آية الله الاراكي ص٣٨٨.

(٣) سيرة الحكيم جهانگيرخان القشقائي ص١٠٠.

المطالعة الذاتية

الاستاذ (جلال الدين الأشتياني) نقل عن آية الله العظمى الرفيعي القزويني فقال:

«قلت له يوماً: لقد غادرت قم منذ ثلاثين عاماً ولم تدرس في قزوين قبل ذلك كثيراً. فقال: لقد طالعت دورة الاسفار ـ للملا صدرا ـ سبعة مرات».

الدرس والعرس

يقول (آية الله ستودة):

«أنا لا أحضر مجالس الأفراح، وذات يوم جاءني شخص ليدعوني إلى حفل عقد قران، فقلت له: أنا لم أحضر عقد قراني، فكيف بعقد قران الآخرين، إذ في يوم زواجي عندما كان الأصدقاء متوجهين إلى حفل زفافنا كنت أنا منهمكاً بالدرس والمباحثة»[1].

الكتاب الخالد

يتحدث الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) عن الفقيه الجليل والمحقق الكبير صاحب الجواهر قائلاً:

«إن صاحب الجواهر ألف كتاباً قد يعجز عن كتابته مائة شخص، علماً بأنه لم يكن من رواد القصور المترفين. فينقل أنه عندما شرع بكتابة هذا الكتاب في النجف الأشرف لم يكن في النجف سرداباً، فالسرداب كان هدية جلبها الشيخ الأنصاري من إيران إلى النجف، إنما كان يقطن بيتاً متواضعاً،

---

(١) مجلة الحوزة العدد ٩ ص٦٧.

وفي هذا البيت وفي طقس النجف الحار وهوائها الجاف كان مشغولاً بتأليف الجواهر»[1].

(ملاحظة المترجم: السرداب هو عبارة عن شبه ملجأ يبنى تحت الأرض للوقاية، ويستخدم في الصيف للوقاية من الحرارة خاصة في الزمن الذي لم تكن تتوفر فيه الكهرباء وأجهزة التبريد).

إستغلال قوة الذاكرة

«لقد حفظ «آية الله العظمى الشاهرودي» كتاب (كفاية الاصول) بعظمته عن ظهر خاطر منذ أن كان طالباً يدرس في خراسان!!»[2]

مباحثة علمية بين أستاذين

يروي (آية الله العظمى وحيد الخراساني) نقلاً عن آية الله مؤيد ـ الذي يسكن الآن في طهران ـ أن أحد أصحاب المحلات في (النجف) [ممن كان يبقى محله مفتوحاً حتى الصباح] أخبره أن آيات الله العظام (الخوئي والميلاني) سهرا أمام محله حتى الصباح، وأنهما من شدة الإنسجام بنقاشهما العلمي لم يلتفتا إلى مضي الوقت إلى أن سمعا صوت المؤذن ينادي لصلاة الصبح فحينها افترقا عن بعضهما الآخر.

وعلى هذه الواقعة يعلق الأستاذ (وحيد الخراساني) قائلاً: أجل يجب أن نبذل جهدنا في الدراسة والمباحثة، وأن نفهم كلام إشكاليات هؤلاء العظماء[3].

---

(١) موسوعة الكوثر، المجلد الثاني ص٦٠١ مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام.
(٢) مجلة الحوزة ٤٨/ ٤٠.
(٣) درس الاصول في المسجد الأعظم بقم بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٩٩٨.

عالم كثير الكتابة

كان المحدث الكبير «المرحوم الشيخ عباس القمي» رضوان الله تعالى عليه كثير الكتابة في السفر والحضر، ويستغل أي فرصة في الكتابة. ويروي نجله قائلاً: **في أي وقت من الليل كنا نستيقظ فيه نلتفت إلى أن مصباح غرفة والدنا مضاء، ونجده منشغل بالكتابة. وكان تارة يطغى عليه النعاس من شدة التعب والسهر، فيذهب في غفوة، وما أن يصحو كان يتوضىء سريعاً بكوب** من الماء ويتابع الكتابة[1].

الجهد الجهد الجهد

ينسب إلى (العلامة الشيخ محمد تقي الجعفري) أنه قال: «إنّ العنصر الآخر في العمل والذي يجب الإلتفات إليه هو الجهد والمثابرة، فالقابلية والنبوغ وإن كانا مهمان إلا أنه ينبغي عدم الإعتماد عليهما كثيراً. فعندما كنّا سابقاً في النجف، كان الفرق بيننا وبين الطلبة العرب أنه كان لديهم مثابرة عجيبة مدهشة.

ونحن الإيرانيون كانت لدينا قابليات. والخلاصة أنه يجب أن نعمل ونبذل الجهد ثم الجهد ثم الجهد والسلام!!.

فلا يمكن الإتكال على القابلية كثيراً. طبعاً لا يمكن الحكم بالإطلاق إلا أن الجهد والمثابرة مهمان جداً»[2].

---

(١) في محضر العظماء ص١٧٦ نقلاً عن نجل القمي.

(٢) في محضر العظماء ص٥٩.

آمال الإسلام

كان (آية الله العظمى بهاء الديني) رحمه الله يرى بأن: «من كان من الطلبة لديه مثابرة استطاع التحصيل والإستفادة جيداً من الحوزة العلمية، وتمكن من بناء وتهذيب نفسه إلى جانبها. إن لخدمة هؤلاء قيمة، فهم أمل الإسلام. **لقد كدت أن أقطع أملي من الحوزة والطلبة في مرحلة ما إثر مسائل طرأت. إلا أن عيناي عندما شاهدت الشيخ حسن زاده الآملي تراجعت كلياً عن رأيي، وعدت إلى التأمل من جديد**»[1].

إلى السعي

يرى الدكتور مهدي الگُلشني: «... أنّ الطالب في عصرنا يريد منا تقديم المسائل إليه جاهزةً تماماً، وهذا الأمر لم يكن معهوداً في السابق، فأسلافنا كانوا يعتمدون على الإختصار والإيجاز في تدوين المطالب وتأليفاتهم، ثم كان يأتي تلامذتهم ويكتبون شرحاً لها، ثم يأتي طلاب آخرين يكتبون شرح الشرح؛ بحيث يقال لو لم يكتب العالم الفلاني شرح كتاب التجريد للشيخ الطوسي لما استطاع الآخرون فهمه.

إلا أنني أعتقد بأن هذا الايجاز فيه تعمد، وغرضه حثّ الطالب على التعمق في الموضوعات، إذ ينسب إلى (أبو ريحان البيروني) أنه كان يطرح موضوعاً ما دون أن يذكر أمثلة عليه للتقريب، ورداً على اسئلة طلابه كان يقول: يجب أن تجدوها أنتم أنفسكم. كان يحثهم بذلك على البحث والتدقيق».

---

(١) آية البصيرة ص٦٦.

غداً أجيبكم

«الأديب الثاني النيسابوري» لم يكن يجيب الطلاب على أسألتهم حول الدرس الذي يقدمه في نفس اليوم ويقول لهم: إدرسوا جيداً وراجعوا التعليقات المدونة في حاشية الكتاب واسألوا بعضكم الآخر، فإن لم تجدوا الحل، اسألوني عن الجواب غداً»[1].

إزدهار المواهب والطاقات

جاء في كتاب (سيرة الصالحين) عن الأخوند (ملا محمد كاظم الخراساني صاحب كتاب كفاية الأصول وأحد أبرز قادة ثورة المشروطة) ما يلي:

«لقد كان الملا محمد كاظم النجل الأصغر عند والده الملا حسين الهراتي، وقد يئس والده من تقدمه العلمي في طفولته، فبات ينظر إليه باستخفاف. وبعدها سافر الإبن إلى العتبات المقدسة ليلتحق بالحوزة فتتلمذ في مدرسة الشيخ الأنصاري ـ أحد أكبر مجتهدي ذلك العصر ـ وتمكن من بلوغ أرقى مستويات العلم والإجتهاد، إلى أن أصبح الآخوند ملا محمد الخراساني المرجع الأكثر تبحراً ونفوذاً بين مراجع التقليد، بحيث لا تجد جمعاً بكثافة عدد الطلاب الذين كانوا يحضرون دروسه[2].

---

(١) يادنامه الأديب النيسابوري ص١٥.

(٢) سيرة الصالحين ص١١١.

بحثاً عن العلم

يذكر (محمد بن جرير الطبري) أنه كان كالمجنون يهرول راكضاً على الأقدام كل يوم من مدينة (ري) إلى (دولاب) ليتسنى له الحضور بين يدي أستاذه أحمد بن حمّاد الدولابي. وأن الخطيب البغدادي كان يغادر مشياً على الأقدام مدينة (تبريز) صيفاً قاصداً بغداد طلباً للعلم، بينما كان يحمل كتبه على ظهره، فتبتلّ الكتب من شدة العرق الذي يتساقط من جسمه.

وأن (السرخسي) المكنّى بشمس الأئمة كان مسجوناً في بئر، وكان يلقن طلابه وتلاميذه الدروس من قعر البئر، بينما كانوا يجلسون عند فوهة البئر.

وأن (أبو الريحان البيروني) سأل أحد الذين جاءوا لعيادته عن مسألة فقهية بينما هو بين سكرات الموت قائلاً: الموت على علم بهذه المسألة خير لي من أن أموت وأنا أجهلها[1].

جهد لا يطاق

يذكر الشهيد السعيد (آية الله السيد محمد باقر الصدر) رضوان الله تعالى عليه قائلاً:

«عندما التحقت بركب طلب العلم، كنت أبذل من الجهد ما يبذله خمسة من الطلبة النشطاء. ومع أنني كنت أعيش في منتهى الفقر والعوز، إلا أنني نسيت وتخليت عن كل شيء مقابل الدرس والتحصيل».

وكان هذا العظيم يبذل ١٦ ساعة على مدار اليوم الواحد في المطالعة

---

(١) نقلاً عن كتاب همائي نامه ص٧.

والدرس طيلة سني دراسته التي استمرت ١٧ أو ١٨ عاماً[١].

ماذا يجري في المكتبات في أوروبا

يحدثنا (الدكتور محمّد الخوانساري) أحد الأساتذة الجامعيين المعروفين بتدينهم والتزامهم قائلاً:

كانت في باريس مكتبة ضخمة تدعى (سنت زنويو) وهي وقف الكنيسة الكاثوليكية، وكثيراً ما كنا نقصدها للمطالعة والإستفادة من كتبها القيمة، ففي سنة ١٩٥٧م كانت تضم أكثر من مليون ونصف المليون كتاب، وفي داخلها قاعة كبيرة جداً ذات مساحة شاسعة تتسع لأعداد هائلة من القراء، وتفتح أبوابها أمام الزوار والمراجعين من العاشرة صباحاً حتى العاشرة ليلاً دون أي توقف أو انقطاع. وبالرغم من ذلك، كثيراً ما كنا نذهب إليها ونضطر للإنتظار حتى يخلو أحد المقاعد لنتمكن من الجلوس.

من جهة أخرى، فإن العديد من الكتب القيمة ذات الأبحاث الموسعة والمعمقة كانت تطبع بكميات هائلة، إلا أنها سرعان ما كانت تنفذ من الأسواق لشدة الطلب عليها، وعندما عدنا إلى وطننا حاولنا انذاك إيجاد مقارنة بين ما كنا قد شاهدناه هناك بأم أعيننا من شغف وتلهف على التزود بالعلم والتهافت على المكتبات العامة وأسواق الكتب المزدحمة برواد الكتب وبين الوضع في بلادنا، فتوصلنا إلى نتيجة محزنة وقتها وذهب بنا التفكير بحال الكتب والمكاتب والأبحاث الجامعية هنا وسبب كساد أسواقها، وعدم إزدهارها ورونقها، خاصة في مجال العلوم الإنسانية.

فلا يتصور أحدكم أني لا سمح الله من دعاة الغرب، إلا أن الحقيقة تقال. فطلاب الجامعات هناك كنا نجدهم منسجمين ومنجذبين إلى

---

(١) سيرة الصالحين ص٤٧٦ ـ ٤٧٧.

محاضرات أساتذتهم في قاعات الدرس وكأنهم يشاهدون فيلماً سينمائياً مليئاً بالحماسة. . . كما أن العلم والتحقيق والكتاب والمختبر والدرس هناك يأخذ بجدّية تفوق التصور. . .».

الإرادة والهمة

لقد استطاع (الملا حسين قلي الهمداني) من تحقيق مراده وحصد الثمار بعد سير وسلوك استمر اثنين وعشرين سنة.

وقد تحدث بنفسه ذات يوم قائلاً:

«كنت أرى بلوغ المراد شبه مستحيل، فذات يوم شاهدت حمامةً في النجف حطت على الأرض وأخذت تحاول كسر قطعة يابسة من الخبز بمنقارها دون جدوى، ثم طارت ورحلت تاركة قطعة الخبز، ثم عادت إليها بعد أيام واعادت محاولتها السابقة لقطع قطعة الخبز، لكنها لم تكسر، فرحلت ثانية لتعود إليها في محاولات أخرى، واستطاعت أخيراً تقطيعها بمنقارها وأكلها. فتعلمت من حركة الحمامة هذه أن المسألة تحتاج إلى إرادة وهمة»[1].

طالب صبور

«السيد علي المدرس درّس الأسفار للملا صدرا خلال أربعة وعشرين عاماً! وكان المرحوم الشيخ عبد النبي النوري ممن درس عنده خلال الأربعة عشرين عاماً، لكنه كان كل ثمانية سنوات يخرّج دورة متمكنة من الدرس بحيث لا يحتاجون بعدها إلى أستاذ»[2].

---

(١) ألف نكتة ونكتة، المجلد الأول ٤٢٧.

(٢) الميراث الخالد: ج٢، ص٨٨.

تنمية الإستعداد بإرادة فولاذية

«السكاك كان رجلاً حداداً وصناعياً، واستطاع بمهارته ودقته أن يصنع دواة حبر جميلة مع قفل صغير فريدة من نوعها تنفع لتكون هدية للملك، وكان يتوقع من الجميع مدحه وتشجيعه عليها، فقدمها للملك وهو يعقد **الآمال عليها، في بادىء الأمر لقي ما توقع، لكن حادثة وقعت غيرت تفكير السكاك وحياته بشكل كامل.**

فبينما كان الملك منشغلاً بتأمل تلك الدواة، وكان السكاك غارقاً في أحلامه، وصل أديب أو فقيه إلى بلاط الملك، **فاهتم الملك باستقباله وبالغ في ذلك** إلى درجة أنه نسي السكاك ودواته، فترك ذلك شديد الأثر على روح السكاك.

وأدرك أنه لم ينل التشجيع الكافي عن تحفته تلك، وأن أماله وتوقعاته لم تكن في محلها. لكن روحه الطامحة لم تهدأ، فكر ماذا يفعل؟ وقرر أن يفعل كما يفعل غيره، وأن يسير كما ساروا. أي أن يتجه نحو الدراسة والكتب، وأن يحقق أحلامه وآماله الضائعة عبر العلم.

ورغم أن التحاق رجل عاقل لم يعد شاباً ليدرس مع الشبان والأغرار والبدء بالمقدمات كان أمراً صعباً عليه، لكن ليس هناك من حيلة، فالسمك مهما كان سنّه يكون طازجاً عندما يخرج من الماء.

لكن الأسوأ أنه عندما بدأ دراسته لم يجد في نفسه الرغبة والإستعداد لهذا الأمر، ولعل اشتغاله بالصناعة والسكاكة لسنين طوال أماتت رغبته بالدرس وطلب العلم، لكنه استمر بدراسته ولم يثنيه عنها كبر سنّه ولا انقطاع رغبته.

وفي أحد الأيام كان أستاذ الفقه الشافعي يعلمه مسألة مفادها: (أن

أستاذه يعتقد أن جلد الكلب لا يطهر بالدباغة).

كرر السكاك هذه الجملة عشرات المرات ليتمكن من ذكرها عند الامتحان، لكنه عندما أراد أن يسمع الدرس قال:

(الكلب يعتقد أن جلد الأستاذ لا يطهر بالدباغة).

فارتفع ضحك الباقين، وأدرك الجميع أن هذا الرجل المسن الذي شاب رأسه فاقبل على الدرس لن يفلح.

لم يعد للسكاك ممكناً أن يبقى في تلك المدرسة ولا في تلك المدينة، فتوجه نحو الصحراء هائماً، وضاق الكون الفسيح به، فتوجه نحو جبل، فوجد أن قطرات ماء تتساقط من أعلى الجبل على صخرة، وقد حفرت الصخرة بسبب تواليها. فكر في ذلك ولمعت في فكره المسألة فقال في نفسه: مهما كان ذهني غير مهيأ، فلن يكون أقسى من هذه الصخرة، لا بد للاستمرار في طلب العلم والتكرار من أن يترك أثراً فيَّ. فعاد ليبذل الجهد حتى نما فيه ذوقه وحدّ ذهنه، إلى أن أصبح عالماً بارزاً في الأدب»[1].

رؤيا علمية!

نقل (آية الله الكريمي الجهرمي) عن آية الله العظمى السيد الكلبايكاني فقال:

«في أوائل شهر رجب عام ١٤٠٤هـ حدثني السيد الكلبايكاني فقال: كنت خلال فترة شبابي ودراستي منشغلاً بالدراسة والبحث، بحيث كنت استغرق كل وقتي في الدراسة، وقد بلغ بي الأمر أني كنت عندما أنام أرى نفسي في درس المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري أو في لقاء مباحثة

(١) قصص الأبرار للشيهد مرتضى المطهري، القصة ٦٦.

ونقاش مع زملائي، وكنت عندما استيقظ أتذكر بعض البحوث التي رأيتها في منامي وأستفيد منها، واشتد الأمر شيئاً فشيئاً حتى إذا نمت خلال النهار صرت أحلم بالدرس أيضاً، فقررت أن لا أنام في النهار لعلي أنام الليل بعمق»[1].

بحثاً عن الأستاذ:

نقل المرحوم (آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي) فقال:

«لم اتبع شهواتي مطلقاً خلال فترة شبابي، بل كنت منكباً على تحصيل العلم والدراسة، فلم أكن أنام في اليوم إلا عدة ساعات، ولم أتوان في البحث عن الأساتذة والعلماء وجلسات الدراسة، حتى إذا وجدت ما يناسبني التحقت بها فوراً»[2].

المستقبل المشرق

نقل (آية الله السيد أحمد الزنجاني) فقال:

«كان أحد أهالي زنجان قد ولدته أمه دون كفين، وكان والده قلق على مستقبله ويقول: إني في قلق شديد على مستقبل هذا الولد وكيف سيؤمن لقمة عيشه دون يدين، وسيضطر إخوته للإنفاق عليه. لكن الأمر كان على العكس من ذلك فقد استطاع الولد رغم فقدانه لكفيه أن يمسك بقلم الخط بنتوء في ساعده، ويتقن فن الخط ويصبح خطاطاً معروفاً، ولم يحتاج لأحد ينفق عليه»[3].

* * *

(١) شمس سماء الفقاهة والمرجعية: ص٤٥.

(٢) شهاب الشريعة: ص١٧٥.

(٣) الكلام يجرّ الكلام: ج٢، ص٢١٦.

الفصل الثالث



تحمّل صعوبات الحياة مع الدرس

لباس واحد فقط

كتب (الأستاذ محمد باقر الساعدي) عن الشيخ أسد الله اليزدي أنه قال:

«كان الشيخ أسد الله اليزدي من جملة أتقى أتقياء زمننا الحاضر، ومن أشهر علماء الأرض المقدسة الرضوية في مشهد.

قد اكتفى بالعدد القليل من الملابس، وعندما كان يغسل ملابسه كان عليه الانتظار لتجف، ولكي لا يعطل الدرس كان يقدم إلى قاعة الدرس ويقدم دروسه دون زيّة المتعارف لأن ثيابه لم تكن قد جفت بعد. وكان يقضي حوائجه الشهرية بخمسة توامين. توفي سنة ١٣٤٥هـ.ق. وهو أول شخص دفن في الأسفل من الجبل الصخري من الشرق في مشهد المقدسة، ودفن بعده الحكيم شهيدي (رحمه الله) إلى جانب قبره»[١].

ابتسامة للصعوبات

العالم المصري المعروف (طه حسين) كان قد فقد بصره في السادسة من عمره، لكن مع كل ذلك درس وباحث بجد واجتهاد حتى نال مرتبة الشهرة العالمية وخلّف وراءه كثير من الآثار كذكرى له. وصفت زوجة الدكتور طه حسين فترة دراسته لإبنتها على الشكل التالي:

«تعرفت على أباك وكان في كل يوم وأسبوع وشهر وسنة يقضيها بنوع واحد من الطعام فقط يشبع بطنه.

---

(١) تاريخ علماء خراسان ص٢٤٨.

كان يأكل وجباته الثلاثة الصباحية والظهرية والعشائية بوجبة واحدة من الطعام. مع كل ذلك لم يشتكي ولم يتضايق ولم يقل شيء. وحتى لم يكن يفكر أنه عليه الشكاية من أوضاعه وأحواله السيئة.

ابنتي! لو كنت تأكلين من طعام أباك الدائمي يوماً واحداً فقط، لقلقت عليك كثيراً، ولكنت لقمتك مغذياً واستنجدت بالطبيب.

نعم، أباك قضى أسابيع وأشهراً يأكل من خبز جامعة الأزهر، حقاً إنّ أكل خبز الأزهر كان مصيبة على طلابها! لأننا كنا نجد فيه أنواعاً من الأحجار والحشرات والأوساخ الصغيرة.

قضى أسابيع وأشهراً ولم يحض إلا بالقليل من الدبس الأسود كمرقة، ولم يكن ليجد شيئاً أخر غيره.

حقاً أنت لا تعلمين ما هو الدبس الأسود، والأفضل ألاّ تعلمي. نعم هكذا كان يعيش أباك ومع ذلك كان يسعى لتحصيل العلم، وكان يبتسم في وجه الحياة والعلم»[1].

الأيام الصعبة

المحدث الشهير (السيد نعمة الله الجزائري) قال:

«قضيت حوالي تسع سنوات في (شيراز) نالني خلالها من العناء والمشقة والجوع ما لا يعلمه أحد غير رب العالمين، لا أنسى أنني كنت قد قضيت يومي الأربعاء والخميس من غير أن أتناول أي شيء غير الماء، لأنني لم أكن احضى على أي من المأكولات».

---

(١) الأيام ص٩٨.

مواساة بين الطالب والأستاذ

نقل لنا الأستاذ حجة الإسلام والمسلمين (الآغا محمد جواد الخراساني) من قصة حياته:

«كان هناك مصباح في صحن المدرسة، وكنت أطالع دروسي ليلاً تحت ذلك المصباح.

لم يكن لدي مستلزمات النوم كالفراش والوسادة، لذا كنت أجمع ثيابي القديمة والبالية وأصنع منها فراشي والوسادة، لقد نمت على الأرض وأحجار المدرسة حتى اعتدت على عدم وجود وسادة، ولم يكن ذلك صعب عليّ... أما حالة لباسي، ففي كثير من الأحيان لم يكن لدي لباس داخلي، فكنت أخرج من دون لباس داخلي، وكان ذلك في الصيف والشتاء. فكان ساتري الوحيد العباءة وذلك لطولها، وفي بعض الأحيان لم يكن لدي قميص، فكنت آخذ قبّة القميص وأضعها على رقبتي كي لا يحسوا بعدم ارتداء القميص وكي يظنوا إنني أملك قميصاً.

في عيد الربيع جاء بعض أهل قريتنا، وكان أبي قد بعث معهم عشرين توماناً وسترة من الجلد.

فرأيت أن كل واحد منهم قد ابتاع لنفسه غطاءً جلدياً وفي حال بدء الجو بالدفء سوف يبيعونه. فقررت أخذ السترة التي بعثها لي والدي وإعطاءها للمرحوم آية الله الشاهرودي - أحد أساتذتي - الذي كان يعاني من نفس صعوبة الحال وكان يملك عزة نفس عالية ويقنع بما لديه، هو أيضاً لم يكن لديه لباس وعباءة جيدة، وكان يأتي إلى الدرس وهو يرتجف من شدة البرد»[1].

---

(١) «حياة الخراساني» ص٨٣ و٨٤.

توقف بسبب الصعوبات

نقل (العلامة الشعراني) عن أستاذه العظيم آية الله الميرزا محمود الرضواني:

«في أحد الأيام وفي حين كان الأستاذ الرضواني يلقي درس الأسفار توقف قليلاً لاستدراك المطلب، وتأمل قليلاً، مع أنه أستاذ عظيم وماهر في صنعته وعندما أكمل المطلب اعتذر على توقفه وقال: لو كنتم مكاني وفي ظروفي لنسيتم كل ما تذكرونه».

فأكمل آية الله حسن زاده الآملي القصة وقال: «قد نقل أساتذتي أن المرحوم الرضواني القمي كان مبتلى بالفقر والحياة الصعبة بشكل عجيب، وفي ذات الوقت لم يكن يعطل دروسه وأكمل درسه وبحثه وتدريسه بشكل عادي».

هؤلاء رجال ملؤهم تقوى وإيمان وهم حجة الله على أرضه[1].

لا تنسوا الماضي

نقل (آية الله السيد حسن المدرس الهاشمي) عن جده آية الله العظمى السيد حسن زميل الشيخ مرتضى الأنصاري قوله:

«... أدرسوا جيداً. عندما كنا طلاب علم مثلكم وكنا نتابع درسنا، كانت معيشتنا سيئة جداً، وبالأحرى مأساوية، بحيث كنت وأخي الميرزا محمد حسين الذي كان مباحثي وقتها في كربلاء وندرس في مدرسة الخان، كنا نحصل على الخبز كل يومين مرة، ولأننا لم نكن قد تناولنا اللحم منذ فترة كنا نلتذ من رائحة زيت المصباح!

---

(١) «مجلة الحوزة» العدد ٢١ ص٢٧.

ولتردّي وضعنا المادي، كنا نحمل كتبنا ونذهب إلى الحمامات في أواخر الليل للمطالعة، المصابيح هناك كانت تشعل بالزيت وعندما كان يعلو ضوء المصباح كنا نطالع دروسنا، وعندما كان يخبو ضوءه كنا نفكر»[1].

تحمل الاهانات

يروي لنا (آية الله جوادي الآملي) عن عهد الظلم الملكي:

«بعد قضية المدرسة الفيضية عندما جاء اللصوص الحكوميون، وقتلوا وضربوا ثم ذهبوا، ومنعوا طلاب العلم من الركوب في الحافلات. كنا آنذاك نسكن في شارع الصفائية في قم.

في صباح أحد الأيام، استقليت إحدى الحافلات للذهاب إلى الحرم ولأشارك في البحث والدرس، فأمر رجال الأمن بنزول كل المعممين والروحانيين من الباص، فأنزلونا. تلك كانت ذكرى سيئة لن أنساها. وعندما نكون بالقرب من ضريح السيدة فاطمة المعصومة المقدس لا يُكَنُّ لنا أي احترام ولا حتى بالمستوى العادي كالناس في هذه الدولة، وليس لنا حتى حق الركوب في الباصات. ذاك اليوم كان يوم صعب ومرير جداً»[2].

روبيتين فقط

(آية الله العظمى السيد أبو الحسن الإصفهاني) يروي عن فترة دراسته فيقول:

«يوم دخلت إلى النجف الأشرف لم يكن لديَّ غير روبيتين، فأعطيتهم

---

(١) «مجلة الحوزة» العدد ٤٧ ص٣٦.

(٢) مجلة «نداء الثورة» العدد ٨٤، ص٢١.

لخادم المدرسة ليجهّز لي غرفة. لم يكن لديَّ أي شيء آخر. توكلت على الله وانشغلت بالدراسة، وهذا هو وضعي المعيشي الآن»[1].

فيلسوف الشرق

(العلامة المرحوم الميرزا مهدي الآشتياني) كان من نوابغ الأيام وقد حمل لقب فيلسوف الشرق واقعاً كان ذلك كالشمس واضح عليه.

لكن وللأسف كان يعيش بعسر... ذهبت إليه في أحد الأيام برفقة أحد أصحابي لرؤيته في شارع نايب السلطنة. وكانت صاحبة البيت تسب وتفحش بالكلام كثيراً عندما كانت تريد أخذ مال الإيجار أو زيادته وعندما ترك البيت قال لنا الأستاذ وبكمال الوقار: «إنها راعت وجودكم عندي وكانت مؤدبة في كلامها»[2].

العارف الفريد

«العارف الحكيم المرحوم القاضي (رحمه الله) مع أنه كان من عائلة عريقة، لكنه كان يعيش في ضيق في معيشته حتى أنه أصبح مضرب للأمثال لنا. لم يكن في بيته غير حصيرة من سعف النخل. وفي أكثر الأحيان كانوا يقضون أوقاتهم في الظلمة! قال العلامة الطباطبائي أن السيد علي القاضي لم كن لديه مال لدفع أجرة البيت، لذلك قام صاحب البيت برمي أغراض بيته ووضعها في الشارع، وطرد عائلته إلى الخارج، فأخذ السيد علي القاضي عائلته إلى الكوفة ولما لم يكن يملك أي مكان للإستقرار والمعيشة أخذ عائلته واستقروا في الطابق العلوي لمسجد الكوفة، وفي اليوم ذاته ذهبت أنا أيضاً إلى الكوفة فرأيت أن كل أفراد عائلته مصابون بالحمى. وخلال صلاة

---

(١) «مجلة الحوزة» العدد ٥٥ ص٣٨ نقلاً عن آية الله السيد مرتضى المرتضوي.

(٢) الميراث الخالد ج ٤ ص٢٦.

العشاء اقتديت به في المسجد فوجدت أنه لديه اطمئنان عجيب وحضور قلب بعد الصلاة وكأنه لا مشكله لديه ولم يحدث له أي شيء وقرأ آية: «آمن الرسول بما أنزل إليه...»[1].

فقر مدقع

روى لنا الشهيد (آية الله الشيخ حسين الغفاري) فقال:

«قضيت ردهة من الزمن لم يكن لديَّ مال، وقد فقدت والدي و... كنت أعمل بمشقة كبيرة، إذ أنه في كثير من الأحيان كنت أدرس وأعمل في الوقت ذاته في المزرعة أو المتجر...»

قضى آية الله الغفاري ثلاثين سنة على هذا الحال، حتى قرر الهجرة إلى (قم) المقدسة وذلك للحصول على ما ضاع منه في هذه البلدة من علماء دين واساتذة مربين وبعد هجرته إلى قم المقدسة، بدأ الدراسة بجد واجتهاد وبدراية عالية حتى أنهى كتاب (الكفاية) و(المكاسب) وأيضاً أنهى درس الخارج عند المرحوم آية الله فيض القمي، والمرحوم الخوانساري الكبير وآية الله البروجردي.

وفي ذاك الوقت ورغم أنه كان لا يزال في عسرٍ من معيشته قرر أن يتزوج... وكان ثمرة ذاك الزواج خمسة أطفال، لكن لفقره الشديد والمرض والجوع مات ثلاثة منهم، فكان معدم الحال بحيث يقال أنه في ذاك الزمان لم يكن لديه مال يقوى به على شراء الحليب لطفله الرضيع، لذا كان ييبس الخبز الأسمر تحت أشعة الشمس ويطحنه ثم يبله بالماء، وهكذا كان يجهز الطعام لطفله[2].

---

(١) نقلاً عن آية الله خسروشاهي.

(٢) جريدة الجمهورية الإسلامية ٢٨/ ١٢/ ١٩٩٦م.

العيش بإمكانيات محدودة

حجة الإسلام الشيخ الفلسفي يروي:

«في ذاك الزمان لم يكن لدينا أموال شرعية واسعة، لذا أغلب الطلاب كانوا يعيشون بإمكانيات محدودة. عندما كنا أطفالاً كنا نأكل وجبة الغداء من الخبز والجبن، أو الخبز والعصير. كان أبي يشتري العصير حوالي ٢٠٠ غرام فقط، ويقسمه بيننا لكل واحد منّا القليل في صحنه الصغير، فكنا نبلل الخبز بالعصير ونأكله»[١].

يومين من الجوع

يروي لنا (العلامة الشيخ محمد تقي الجعفري) عن معاناة فترة الدراسة فيقول:

«خلال فترة الدراسة في الحوزة بقم، مرّ علينا يومان لم يكن لدينا شيء من الأكل لتناوله، فأحسست بواجبي الشرعي، فقلت في نفسي: علي الذهاب إلى المتجر الذي اعتدنا الشراء منه وأخذ قليل من الأرز والزيت والتمر، وعندما جاء اليوم الثالث دخلت إلى المتجر وقلت للبائع: أعطني كيلو من الأرز و١٠٠ غرام من الزيت و٧٠٠ غرام من التمر. فزان البقال لي الأغراض التي طلبتها، وعندما جاء وقت الحساب قلت له سأدفع لك الثمن فيما بعد. فالتفت إليّ وقال: لا أبيع بالدَّين. فأخذ الأغراض من يدي وأرجعهما إلى مكانهما»[٢].

---

(١) مذكرات وصراع حجة الإسلام الفلسفي ص٣٤.

(٢) الميراث الخالد ١/١٠٠.

لا أحد يعلم

الدكتور (أبو القاسم الكرجي) يقول عن فترة دراسته:

«وأنا في الوقت الآخر كنت أتصرف بشكل بحيث أن لا أحد يحس أنني في ضيق من المعيشة، وحتى أن هذا التصرف جعلني أعتاد على هذا النوع من العيش»[1].

الفقر المهلك لأستاذ الأدب

«كان المرحوم السيد أهري رحمه الله قوي في مادة الأدب، وكان يعيش في فقر مهلك. على شبابنا في الجامعات وأصحاب الأقلام أو أصحاب العمل في الجامعة أن يتحملوا العناء. في ذاك الزمان كان (السيد أهري) قوي ومقتدر جداً في مادة الآداب، ولكنه كان يعيش في فقر عجيب. أحياناً كان يأتي ويلقي درساً ثم يرحل. أو يلقي درسين أو ثلاثة في المدرسة الطالبية، وكانت دروسه مفيدة جداً»[2].

الزمن الصعب

جاء في شرح أحوال العلامة الإلهي القمشة أي:

«كان يقضي وقته بصعوبة. نقل أنه في فترة معيشته في مشهد المقدسة للدراسة كان متحلياً بالقناعة، حتى أنه كان لا يأكل الطعام المطبوخ من شهر لآخر، ولأنه كان صاحب قناعة، وراضياً بحياته، كان يذهب إلى الصحراء وفي كل فترة وجوده هناك كان يقتات من شجر التوت»[3].

---

(١) الميراث الخالد ١/ ١٩٧.

(٢) نقلاً عن العلامة الشيخ الجعفري ـ الميراث الخالد ١/ ٩٩.

عيدية

نقل (المرحوم آية الله المرعشي) عن آية الله العظمى أبو الحسن الأصفهاني:

«في يوم العيد رأيت صاحب بيت السيد الأصفهاني يرمي أغراض بيت السيد إلى الشارع، وقال له: ما دام ليس لديك أجرة بيتك، فأخرج من البيت!

وأكد له السيد عدم امتلاكه المال وعدم قدرته على تأمينه، لكن الرجل لم يقبل ذلك، فتضايق كثيراً، فاقتربت من ذلك الرجل وقلت له: هل تعرف هذا الشخص؟ إنه من أفضل طلاب المرحوم الآخوند الخراساني. أعطه فرصة أخرى، سوف يدفع لك الإيجار. وبعد رجاء كثير، وافق لإعطائه مهلة ثانية»[1].

أمنيتي

المرحوم (آية الله الرباني الأملشي عضو مجلس صيانة الدستور الشورى، نقل عن فترة طفولته ومشاكلها فقال:

«أثناء طفولتي كنا نعيش في مستوى متدني من حيث المعيشة والملبس والذهاب والإياب إلى حد أنني لم أكن امتلك في الشتاء حذاءً يمنع وصول الماء إلى قدميّ، عند ذهابي إلى المدرسة، كان لدي حذاء كان قد رقع بعد تمزقه حتى كأنه قد صنع من جديد.

كل يوم بعد عودتي من المدرسة كان علي غسل قدمي الورديتان قبل

---

(١) مجلة الحوزة، العدد ٦٣ ص٤٢، مقابلة مع آية الله علي ياري التبريزي.

دخول البيت. في ذاك الزمان كانوا يصنعون الأحذية من دواليب السيارات، وذلك قبل أن تبدأ المصانع بصنع الأحذية البلاستيكية، كانت هكذا أحذية متوفرة بكثرة في قم، وكانت إحدى أمنياتي الحصول على حذاء منها وانتعاله، ولكنني لحد الآن لم استطع تحقيق أمنيتي»[1].

فترة طفولة القائد المعظّم

يروي السيد القائد (آية الله العظمى الخامنئي) عن فترة طفولته ومشقاتها فيقول:

«كانت فترة طفولتي فترة عسر شديد، وخاصة أن أيام صغري تقارنت مع أيام الحرب، ورغم مع أن مشهد كانت بعيدة عن الحرب، وكل شيء رخيص وموجود بوفرة بالنسبة إلى المناطق الأخرى، إلاّ أن حالتنا المادية كانت سيئة وفي كثير من الأحيان لم نكن نستطيع شراء الخبز، فكنا نشتري خبز الشعير، لأنه أرخص، أحياناً كنا نشتري خبزاً من خليط الشعير والقمح، ونادراً ما كنا نشتري خبز القمح. أذكر عندما كنت صغيراً في إحدى الليالي لم يكن عندنا شيء للعشاء، فأخذت أمي المال القليل الذي كانت قد اعطتني إياه جدتي أو أعطته لأحد إخواني لتشتري به القليل من الزبيب أو الحليب لنأكله بالخبز. . .

كانت مساحة منزلنا حوالي ٦٠ ـ ٧٠ متراً في منطقة فقيرة من مشهد، وكان يحتوي على غرفة وطابق أرضي وغرفة تحتها مظلمة وخنقة.

عندما كان يأتي ضيوف أبي (وبما أن أبي كان طالب علم ديني، عادة كان لديه ضيوف).

كان علينا جميعاً الذهاب إلى الغرفة في الطابق السفلي لحين ذهاب

---

(١) مجلة نداء الثورة، العدد ٧٦ ص١٣.

الضيوف، فيما بعد قام عدد من الأشخاص الذين يحترمون والدي، فاشتروا لنا قطعة أرض بجانب بيتنا، وضممناه إلى البيت بعد إعماره، فأصبح لدينا ثلاث غرف. أما من ناحية الملبس فكانت حالتنا هكذا أيضاً. . . أبي مثلاً كان يرتدي ثوباً طويلاً يحجب المطر طوال أربعين سنة[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) كتاب «مرجعية آية الله الخامنئي في نظر الفقهاء والكبار» ص٣٦ ـ ٣٧.



الفصل الرابع

عنايات وتوفيقات

آثار الريق في العلم الوفير

يقول (آية الله الأستاذ حسن زاده آملي) بخصوص العناية الإلهية في أوائل تحصيل العلوم الدينية:

«في عنفوان شبابي وفي بداية حياتي العلمية كنت في المسجد الجامع بآمل مشغولاً في تمضية أيامي في دراسة الإسم والفعل والحرف، وكنت غارقاً في تعلم الصرف والنحو، ومع ذلك كانت لدي إرادة راسخة وثابتة في قيام الليل والتهجد. ففي رؤيا مباركة في وقت السحر رأيت أنني قد تشرفت إلى الأرض الرضوية المقدسة، ونلت زيارة الجمال الأخاذ لولي الله الأعظم ثامن الحجج علي بن موسى الرضا عليه وعلى آبائه آلاف التحية والثناء، في تلك الليلة وقبل التشرف بنور وحضور الإمام، أخذوني إلى مسجد فيه قبر حبيب من أحباء الله، وقالوا لي: صلي بجانب هذا القبر ركعتين وأطلب حاجة من الله فإنها مستجابة. ولفرط حبي وعشقي للعلم صليت وطلبت من الله العلم.

ثم وصلت إلى المقام المعلى للإمام الثامن سلطان الدين الرضا ـ روحي لتربته الفداء، وتراب بابه تاج رأسي ـ فتقدمت بكمال الأدب دون أن أتكلم أو اتفوه بكلمة، كان يعلم الإمام بسري وشدة اشتياقي وحرارة قلبي وعطشي للحصول على ماء علم الحياة. فقال لي الإمام: «تقدم» فتقدمت، ونظرت إلى وجه الإمام فرأيته يجمع ريقه بين شفتيه الطاهرة، وأشار لي بأن أشربه، إنحنى قليلاً، فتقدمت وبتمام الحرص والولع أحسست في نفسي إنني سوف آكل شفاه الإمام، شربت ذلك الماء بلساني، شربت ذاك الماء من الكوثر، ماء الحياة، في ذاك الحين خطر في بالي قول الإمام أمير المؤمنين

علي عليه السلام أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أتى بريقه على شفتيه فشربته وانفتحت لي ألف باب من العلم ومن كل باب ألف باب.

بعدها علمني الإمام كيفية طي الأرض، فاستفقت من تلك الرؤيا العذبة فكانت أجمل من آلاف سنين اليقظة، فبعد بشرى السَحَر تلك أتمنى وعلى قول الشاعر الإيراني حافظ ذو اللسان العذب أن أبدأ بالتنغيم.

غُسل ساعة السَحَر نجتني من الغضة   فسقاني عشاق الليل ماء الحياة

سَحَر مبارك وليلة ما أسعدها   ليلة قدر كانت قدرت فيها أموري»[1]

عناية في ليلة القدر

يقول (آية الله المؤمن) عضو مجلس صيانة الدستور:

«... بسبب ضيق أو سوء المعيشة لم يوافق أبي على ممارسة طلب العلم رغم الإصرار الشديد. حتى أنني أذكر في إحدى الليالي إما في ليلة ٢١ وإما في ليلة ٢٣ من شهر رمضان المبارك، وفي مسجد الإمام في قم المقدسة كنت اشارك في إحدى الجلسات توسلّت كثيراً، أذكر إنني في تلك الليلة توسلت بالإمام صاحب العصر والزمان (عج) وطلبت منه أن يرأف بي قليلاً ويتلطف عليَّ لحلّ مشكلتي بالنسبة لدراستي، في الليلة ذاتها رأيت الإمام في منامي، أمسكت بيده وطلبت منه أن يلطف بي ويساعدني على حل مشكلتي الدراسية، فقال لي الإمام: عليك الصبر فقط شهرين وتحل. ففي يوم الواحد (٢١) من شهر ذي القعدة وكان قد مرّ على رؤياي شهرين قمري، وفقنا لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وهناك أيضاً طلبت من الإمام بالحال حل مشكلتي لطلب العلم، وعندما عدت من السفر، حلت مشكلتي بشكل جيد جداً وواضح، خاصة مع ذاك الوعد الذي قطعه لي الإمام ولي العصر (عج)

---

(١) الألف كلمة وكلمة للأستاذ حسن زاده آملي ١/ ٣٤٢.

في المنام والذي طال شهرين بالضبط»[1].

عناية الإمام الحجة (عج)

كتب (الشهيد آية الله دستغيب) عن الحاج علي آقا سلمان منش هكذا:

«جناب الحاج علي يقول: في طفولتي لم اذهب إلى المدرسة، ولم أتعلم، لذا كُنْتُ أُميا، وفي أوائل شبابي كانت لدي أمنية كبيرة أن أستطيع قراءة القرآن المجيد، وفي ليلة من الليالي وبقلب مكسور توسلت إلى الإمام الحجة ولي العصر (عج) لتحقيق أمنيتي، وفي أحد الأيام رأيت في الحلم إنني في كربلاء، فتقدم إليّ شخص وقال: أدخل إلى هذا البيت لأنه هناك مجلس عزاء يُقام لسيد الشهداء، أدخل واستمع إليه. فقدمت ودخلت فرأيت شخصين من العظماء جالسين وبجانبهما تنور وقطعة من المائدة عليها خبز، أخذوا قطعة من ذاك الخبز وسخّنوه وأعطوني إياه، فأكلت ذاك الخبز واستفقت من نومي، أحسست أن أمنيتي قد تحققت، فأخذت القرآن المجيد وفتحته فرأيت إنني استطيع قراءة القرآن بكامله. وبعدها ذهبت لحضور مجلس قراءة القرآن المجيد فكنت إذا أخطأ أحد صححت له، وحتى كنت أصحح للأستاذ إذا أخطأ. فقال لي الأستاذ: يا فلان أنت إلى يوم أمس كنت أمياً، لم تكن تستطيع القراءة ولا الكتابة، ماذا حصل حتى أصبحت هكذا؟ فقلت له: ببركة الإمام الحجة (عج) تحققت أمنيتي.

ومن جملة العجائب المذكورة أنه غالباً ما كان يرى في منامه الأمور التي سوف تحصل في الأيام الآتية كان يرى ويفهم الذي سوف يحدث في الغد، وأنه سوف يلتقي بفلان ويتعامل مع فلان، ومقدار ربح تلك المعاملة...»[2].

---

(١) مجلة نداء الثورة، العدد ١٠١ سنة ١٩٨٣.

(٢) «القصص العجيبة» القصة ٣١.

الشرارة المصيرية

قال (آية الله الشيخ صدر الدين الحائري الشيرازي) قلت للعلامة الطباطبائي: «هل أنت حاضر للإجابة على سؤالي ؟

فأجابني: وما الضرر بذلك: إذا كنت أعلم أجيبك.

فقلت له: إن الموضوع يتعلق بك أنت؛ فإن علمت أنك ستجيبني حتماً فسأسألك، وإلا أنصرف عن السؤال.

فقال لي: تفضل فسأجيبك إن كنت أعلم. فقلت له: سمعت أنك في سن طفولتك لم تكن تستطيع إدراك الدروس، بعدها سجَدت سجدة فأعطاك الله عناية ربانية، وهي أنك تستطيع إيجاد الجوابات والحلول لأصعب المسائل العلمية. أهو هكذا؟ فلم أكمل كلامي حتى رأيت أن وجه وملامح العلاّمة قد تغيّرت حتى إنني خجلت من سؤالي. فقال في هذا الحال: ما دمت قد وعدتك بالإجابة فسأخبرك:

عندما كنت في تبريز وكنت أدرس كتاب (السيوطي) كان الأستاذ يمتحننا وأنا لم انجح في امتحاني. فقال لي الأستاذ: أنت تعطلنا وتعطل نفسك في ذات الوقت! اندهشت بشدة من كلام الأستاذ، فلم استطع البقاء في المدينة، ذهبت إلى خارجها إلى أعلى التلال، وقمت بعمل ما. بفضله تفضّل عليّ الله بذلك العطاء الكبير.

ولم يذكر ما هو العمل، هل هو سجدة أم غيره من الأعمال، وبعدها لم يقل أي شيء آخر.

فقلت له من ذاك الوقت: إذن لم يبق عندك شيء من غير حل وحتى المسائل الصعبة.

فقال لي: لحد الآن كان الأمر هكذا[1]»!

نسيم المعرفة

يقول الأستاذ الأكبر سماحة (آية الله الشيخ علي بناه الإشتهاردي):

«ألف الشهيد الثاني كتاب (منية المريد) عندما كان عمره (٤٣) عاماً وذلك بناءاً على قوله وقد أورد فيه كل هذه المواضيع والمطالب العالية والسامية.

في صفحة من هذا الكتاب ذكر: لو أردت كتابة العنايات الإلهية التي حضيت بها، لكتبت فيها كتاباً ضخماً، وقد نسب ذلك كله للعناية الربانية، ولكن نحن نقول: أنه من لياقاتنا واستعداداتنا وتعبنا حتى حضينا على الغرض الفلاني».

من المناسب ذكره أنّ الشهيد الثاني ولد سنة ٩١١هـ.ق. وانهى كتاب منية المريد سنة ٩٥٤هـ.ق[2].

التوفيق للتأليف

ذكر آية الله العظمى الأراكي:

«آية الله السيد أحمد الخوانساري تحمل الكثير من الصعوبات في حياته، كان يعاني من الألم في بطنه منذ زمن، وتحمل فقدان عدد من أولاده، ولم يكن مستقراً في مكان واحد، مدة في خوانسار، وفترة في النجف، وتسعة أشهر في دزفول، وبضع أشهر وسنين في أراك، وبعدها إلى

---

(١) مهر تابان ص٣٦، هامش، الطبعة الثانية.

(٢) درس منية المريد في المدرسة الفيضية في: ٢٦/ ١١/ ١٩٨٧م.

قم، ومن ثم سكن في طهران. ومع ذلك كله وفقه الله لتأليف دورة كبيرة في الفقه الإستدلالي (جامع المدارك) والذي هو خلاصة (الجواهر) إضافة الى أمور أخرىٰ... وقد ذكر حين وفاته أنه قد رأى وجه الملائكة وقال: لقد رأيت وجه عزرائيل ولم أخف منه، فقلت في نفسي لمَ يخاف منه الناس، رأيت الملاك عزرائيل فتقدم إليَّ، ثم رجع وخطى سبع خطوات، فهمت من ذلك أنني لن أعيش أكثر من سبعة أيام بعد»[1].

السعي والمكافأة

ذكر (العلامة المامقاني) صاحب كتاب (تنقيح المقال):

«في إحدى الليالي وفي حين الكتابة احتجت إلى كتاب «الرهن» من التهذيب للشيخ الطوسي، مهما فكرت من أين سأجد هذا الكتاب في هذا الوقت من الليل لم استطع الوصول إلى شيء. حينها أحسست أن قلبي قد انكسر وسالت دموع عيني، فتوسلت بالإمام صاحب الزمان وقلت له: سيدي! إني أتعب نفسي لأجلك، وهذا العمل لك، لهذا عليك مساعدتي. وفجأة وكأنه ألهم إليَّ أن أبحث بين الكتب الممزقة والأوراق التالفة على زاوية الرف. وكنت قد فتشت بينها عدة مرات قبل ذلك ولم أكن أظن أن طلبي بينها. قمت من مكاني وتفحصتها من جديد، وفجأة، وجدت كتاب (تهذيب الأحكام) للشيخ الطوسي وكان خطه جذاب وجميل جداً. فبدأت بالإستفادة من ذلك الكتاب في الحال وكنت انقل من المواضيع واستفيد منه. وبقي الكتاب عندي عدة أيام، وبعدما انتهيت منه اختفى ذاك الكتاب، ومذ ذاك لم أجده[2]!».

---

(١) شرح أحوال آية الله العظمى الأراكي ص٥٨٠.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ٣٤ ص٧١، نقلاً عن آية الله الشيخ محمد رضا الطبسي.

العلم النوراني

نقل (آية الله الميرزا غلام حسين الجعفري الهمداني) عن أستاذه العارف الرباني آية الله الشيخ مرتضى الطالقاني أنه قال:

«علينا أن لا نعتمد في مراحل دراستنا على سعينا وجهدنا فقط، بل علينا أن نعلم أن العناية الربانية والإلهية مؤثرة وفعالة».

كما قال: «في أيام طلبي للعلم كنت أدرس وأطالع جيداً، وكنت أسهر إلى وقت متأخر من الليل. وفي وقت من الأوقات قال لي المرحوم الطالقاني: يا سيد جعفري، إن كسب العلم لا يتوقف على التحقيق والمطالعة والتعب. «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»[١].

الله هو مِلاك التشخيص لا العبد

قال الفقيه الأصولي والحكيم المعروف (فاضل الدربندي) للشيخ مرتضى الأنصاري ـ صاحب كتاب الرسائل والمكاسب ـ: «يا شيخ مرتضى أنا أعلم منك، لكنك أزهد مني!».

بعد هذا الحدث نقل آية الله الملا حبيب الله الكاشاني:

«تعلمون جيداً في يومنا هذا أنّ كتب الشيخ مرتضى الأنصاري تباع بأعلى الأثمان، والكل يريد هذه الكتب، في حين أن كتب فاضل الدربندي لا تلقىٰ الاهتمام من أحد، وحتى لاينظرون إليها، ومن المنسيات.

في يوم من الأيام قال الشيخ محمد حسن لفاضل الدربندي: كتاب الجواهر كتاب حسن، هل لاحظت ذلك؟

(١) مجلة الحوزة العدد ٥٢ ص٤٥.

فأجاب فاضل الدربندي: يوجد في خزائننا الكثير من هذه الجواهر.

وأنتم تعلمون أن في يومنا هذا لكتاب (جواهر الكلام) مريدون كثر في حين لا أحد يلتفت ناحية (الخزائن) لفاضل الدرنبدي[1]!

توفيق الولد في ظل طاعة أبيه

وحول سيرة (آية الله البروجردي) كتبوا:

«في سنة ١٣١٤هـ.ق كان قد امضى ٢٢ عاماً من عمره، كتب له والده رسالة يأمره فيها بالمجيء إلى بروجرد، ظناً أن أباه يريد إرساله إلى النجف الأشرف ـ والتي كانت أكبر حوزة علمية للشيعة آنذاك ـ لاكمال علمه، لكن عند دخوله البيت ورؤية أباه وأقاربه، علم أنه العكس، لأنه كان قد أهّله وهيىءَ له مقدمات الزواج. حزن من هذا الأمر، وعندما أحس أباه سأله عن سبب حزنه، فأجاب: كنت مشغولاً بالدراسة بجد وببال مرتاح، لكنّي الآن أخشى أن يحول الزواج بيني وبين هدفي، وتمنعني من متابعة هدفي ونيله.

فقال له والده: ولدي! إعلم أنك إذا اطعت والدك وفعلت ما أمرك به فهناك أمل أن توفق لنيل الترقيات المهمة التي في بالك، وأما إذا لم تحقق لي أمنيتي، فإنّ كل الحب والإجتهاد الذي تبذله لتحصيل العلم، قد لا يصل بك أي شيء».

قول أباه أثر به كثيراً وزاح عنه كل الترديدات فتزوج، وبعد الزواج والتوقف قليلاً، عاد إلى اصفهان، ودَرَسَ ودَرَّسَ في علوم مختلفة خمس سنوات»[2].

---

(١) كتاب لباب الألقاب في القاب الأطياب للملا حبيب الله الكاشاني ص١٠٢ و١٠٣.

(٢) حياة آية الله البروجردي، تأليف الشيخ علي الدواني ص٩٥.

لطف ربنا لنابغة عصرنا

«جمشيد درخشان ـ النابغة الإيراني ـ عمره ١٩ عاماً وأستاذ في جامعة أكسفورد، كسب لقب رجل الرياضيات، وكسب أكبر جائزة علمية لتقديمه رسالة الدكتوراة في الرياضيات، وكسب جائزة الرياضيات العالية في السنة الماضية. وأحرز عنوان رجل الرياضيات في هذه السنة.

(جمشيد درخشان) أنهى مرحلة المتوسطة في عمر ١٧ سنة، وبدون الحصول على شهادة الثانوية، قدّم على الليسانس وفوق الليسانس، ودورة الدكتوراه رسمياً في جامعة أكسفورد، وسرعان ما نال لقب المحقق الأرشد في الرياضيات في هذه الجامعة. مكتشفات هذا النابغة الإيراني في موضوع الرياضيات، وحل أصعب القضايا وبعضها لم يحلّ منذ أربعين سنة، حرك اعجاب المراكز العلمية في انكلترا وسائر مراكز الرياضيات في أوروبا وأمريكا. . . (جمشيد درخشان) الذي بيّن لنا نبوغه بحفظه آلاف الأبيات من أشعار مولوي (شاعر إيراني) في صباه، قال في لندن: إن هذه المكتشفات منشأها لطف الرب. وقال: كل ما أثبته أو أكتشفه هو من العناية واللطف الرباني. إن تواضع وخشوع جمشيد وابتسامته الدائمة وطباعه اللطيفة. ضاعف حبه لكل من عرف وجه هذا الرياضي الشهير»[١].

طير السعادة[٢]

يقول الأستاذ (جلال الدين الهمائي) عن الحكيم جهانگيزخان:

«في المقابلة التي حصلت بين الهمائي الشيرازي وبين الحكيم القشقائي، سأل الحكيم القشقاني المرحوم الهمائي عن عنوان صانع آلات

---

(١) جريدة الجمهورية الإسلامية ١٩٩٦/٩/٢٠.

(٢) طير خرافي يقال أنه كل من يقع عليه ظله تأتيه السعادة.

الموسيقى، فأعطاه الهمائي عنوان مصنع الآت الموسيقى وخلال الأسئلة والأجوبة انتبه أنه آية في الذكاء والدراية فقال له: أنت بهذا الذكاء، من الحيف أن تضيع هكذا، هل لديك ميل للدراسة؟ فأجابه: هذا ما أطلبه من الله.

وبمساعدة الهمائي توجه الحكيم القشقائي نحو مدرسة الطلاب واستقر في سلك طلاب العلم»[1].

* * *

(١) حياة الحكيم جهانگيزخان، ص٢١، تأليف مهدي القرقاني.

الفصل الخامس

التوجه إلى الأمور المعنوية

التمسك بالله تعالى

يقول حجة الإسلام والمسلمين السيد غرويان:

«قلت لآية الله مصباح اليزدي: بدون إغراق ولا كلام لغو، لقد كُنْتَ طالباً موفقاً، فقل لي برأيك ما هو سر توفيقك؟ فتأمل قليلاً واجابني: التمسك بالله، رأس مال كل فقير.

وهذا هو سر نجاح كثير من العظماء.

هذا التمسك بمعناه الحقيقي، شيء مختلف. يقول آية الله العظمى بهجت: كنت في أحد الأيام جالساً داخل غرفتي بحيث كنت اسمع أصواتاً قرب باب الدار. كان أولاد الجيران يلعبون بالقرب من الباب. فجاء فقير وقال للولد: إذهب واجلب لي شيئاً من بيتك. فقال له الولد إذهب وخذ ذلك من أمك. فقال له الفقير: ليس لديّ أم، إذهب أنت وخذ شيء من أمك واجلبه لي!

فقال آية الله بهجت: من حوار الولد مع الفقير، استنتجت نكتة مهمة.

قلت في نفسي هذا الطفل من شدة اطمئنانه بأمه يظن أنه كل ما سيطلبه من أمه سوف توفره له، وكل ما يريده يستطيع أخذه من أمه!

فلو كان الشخص اطمئنانه وأمله بالله بقدر اطمئنان هذا الطفل بوالدته، ولو كنا نعلم أن كل ما نطلبه من الله يعطينا إياه، لم تكن لدينا أي مشكلة ولكانت كل مشاكلنا حُلَّتْ»[1].

---

(١) في محضر العظماء ص٩٩ ـ ١٠٠.

بشرى لإكمال الدراسة

يقول (آية الله إمامي الكاشاني) في خصوص أوائل طلبه للعلم:

«كنت جالساً في حجرتي في مدرسة (سبه سالار) في أحد الأيام، وبينما أنا كذلك انشغلت بالتفكير، وكانت ساعة المدرسة تدق باستمرار وتبين لي مضي الوقت. ففتحت كتاب مفاتيح الجنان وبدأت بالنظر إليه، وكنت انظر في الأدعية، فكانت إحدى الأدعية التوسل بالإمام صاحب العصر والزمان (عج)، وهو: من كانت لديه حاجة فليصل ركعتي التوسل بالإمام الزمان (عج) وليقرأ في كل ركعة مئة مرة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ومن ثم ينام على جانبه الأيمن، فإن شاء الله سوف يحصل على حاجته.

تلك الليلة، كانت ليلة الجمعة، فعلت ذلك الشيء، وصليت ونمت، لا أعرف كنت في يقظة أم في حلم عندما سمعت صوتاً يقول: ستذهب عند الرسول الأكرم ﷺ ولا أذكر حتى إنني رأيت أحداً، ولكن ما إن سمعت هذا الصوت حتى استيقظت فعرفت أن الله قد وفقني لإكمال العلم»[1].

الأصل، المسائل الأخلاقية

«. . . ذاك العظيم (آية الله العظمى السيد محمود الشاهرودي) علاوة على تبيانه لمسائل علمية عميقة، كانت لديه دقة خاصة في الموعظة والمسائل الأخلاقية. وكان ينشغل بالمواعظ وتوضيح وبيان المسائل الأخلاقية في عديد من المناسبات. ولو أعترض أحد من الطلاب وقال: إن

(١) مجلة نداء الثورة، العدد ١٢٠ ص٢٤.

الدرس يطول بذكر هذه المواضيع، كان يردّ عليه قائلاً: الأصل، هي المسائل الأخلاقية»[١].

يا مهدي أدركني

يقول (آية الله الجوادي الآملي) عن أستاذه:

«كان آية الله محمد تقي الآملي من قبيلة (جوان) وهو اسم جده الذي كان يعيش على عهد الصفويين. وفي سن ٣٦ سنة نال درجة الإجتهاد من آية الله العظمى عبد النبي. آية الله محمد تقي الآملي كتب كتاب شرح العروة الوثقى والمفصل. فعندما كان يعطي لنا أوراق شرح العروة لنرتبها ونصححها وجدت أنه قد كتب على أعلى كل صفحة وبدون استثناء يا مهدي أدركني»[٢].

علامة تدوين أم تهذيب

نقل لنا العارف الحكيم (آية الله العظمى الآخوند الملا علي الهمداني): «أن العالم الفاضل الملا مهدي النراقي عندما كتب (جامع السعادات) في الأخلاق، بعث عدداً من النسخ إلى علماء النجف وللسّيد محمد مهدي بحر العلوم، وبعد مدة ذهب الملا مهدي النراقي إلى النجف الأشرف فجاء علماء النجف لمقابلته، لكن السيد بحر العلوم لم يأت. وعدم مجيىء عالم مثله صعب جداً عند الملا مهدي النراقي، وكان من الممكن قول كثير من الأشياء حول ذلك لكن الملا قال: السيد لم يأت، نحن نذهب إليه.

وذهبوا، لكن بحر العلوم لم يعتنِ بذلك. وزاد الكلام حول أنه كيف

---

(١) مجلة الحوزة ٣٨/٤٨ مقابلة مع آية الله الشيخ محمود اليوسفي.

(٢) من دروس الأستاذ في: ٥/ ١٢/ ١٩٨٧.

أصبح؟! وبعد مدة ـ حوالي ١٥ يوماً ـ عاد الملا وذهب للقاء بحر العلوم، ولكن بحر العلوم لم يعتن به في ذاك الحين أيضاً وزاد الكلام حول الأمر.

وبعد أيام ذهب ثالثة إلى بيت بحر العلوم، لكن في هذه المرة التقاه باحترام كبير، فاندهش الجميع، كيف أنه لم يأت لملاقاته، وذهب مرتين ولم يعتن به، والآن يعامله هكذا؟!

عندما خلى المكان، قال بحر العلوم للملا: في كل هذه المدة لم أذهب لملاقاتك ولم اعتنِ بك عندما جئت في المرتين السابقتين وتصرفت بهذه الطريقة، كنت أريد أن أرى إن كنت قد جمعت كتاب (جامع السعادات) أم أنك عملت بما كتبته ودونته وزكيت نفسك وهذبت أخلاقك؟ لكن الآن قد ثبت لي أنك قد هذبت نفسك»[1].

زيارة الإمام عليه السلام أم زيادة علم؟

نقل المحدث النوري عن مولانا الآخوند ملا فتح علي سلطان آبادي أنه:

«عندما أصبح خاتم الفقهاء صاحب الجواهر مرجع تقليد عالم التشيع، تشرفت بزيارة أمير المؤمنين. حينها كان كل سعي صاحب الجواهر هو كسب المسائل الشرعية المتفرقة التي كانت مورد ابتلاء العامة، والتي لم تكن في رسالته العملية، وقمت بدوري بجمع ٩٠٠ مسألة شرعية وأجابني عليها بخطه المبارك.

حل شهر محرم ـ وبسبب مشاكله الكثيرة، وتنظيم المسائل الشرعية ـ لم يستطع صاحب الجواهر الذهاب إلى زيارة عاشوراء، وكان يقوم بها في

(١) مجلة الحوزة، العدد ٢٧، ص٣٣.

كل عام. ونحن أيضاً تبعناه بذلك وبقينا في النجف الأشرف وقمنا بالعمل على المسائل الشرعية. وفي ليلة لا أدري إن كانت التاسعة أم العاشرة من المحرم، رأيت الإمام أمير المؤمنين في منامي وكان عاتباً علينا فقال: «اتترك زيارة الحسين (أو قال مثل الحسين) في يوم عاشوراء؟!» وكان الشيخ الأستاذ ـ أعلى الله مقامه ـ قال لي أنه قد جرب وسمع من مجموعة من المشايخ أنه كل من ترك زيارة عاشوراء بعذر لدراسته، قد فقد توفيقه، وكانت خسارته أكبر من قبل الزيارة»[1].

خمسون درس أخلاق

ينقل (العلامة الجعفري):

«سمعت من آية الله السيد عبد الهادي الشيرازي أنه قال: عندما دخلت إلى حوزة النجف كان يدرس فيها ثمانية عشر درس أخلاق، يلقيها جملة من كبار أخلاف الصدق كالمرحوم السيد أحمد الكربلائي أو الآخوند ملا حسين قلي الهمداني كانوا منشغلين بتربية الطلاب، وكانوا يهتمون بهذا العمل كثيراً. وإني أؤكّد على العدد ثمانية عشر، لأنني سمعت منه والكلام مسند إليه تماماً، أنه على الأقل كان يدرس في حوزة النجف حوالي خمسون درس وكان من بينهم ثمانية عشر درس قد برزوا، ونستطيع القول أنه ثمانية عشر من الدروس كانت قد برزت. وباقي الدروس كانت من الدرجة الثانية والثالثة»[2].

---

(١) دار السلام ٢/ ٢٧٣.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ١٩، ص٢٢.

أول درس من العِلْم

يقول آية الله الجوادي الآملي عن بداية دراسته لطلب العلم:

«كان المرحوم آية الله الغروي وآية الله فرسيو ـ رحمهما الله ـ من طلاب المرحوم الآخوند الخراساني في الحوزة العلمية في النجف. وكان المرحوم فرسيو معروفاً بالزهد والتقوى أكثر، وكان أبي مصرّاً على أن أدرس أول درس في كتاب (جامع المقدمات) عند المرحوم فرسيو، لذا في اليوم الذي قررت أن أبدأ بطلب العلم، أخذ بيدي وهداني إليه، ثم قال لي: عليك أن تدرس أول درس عند هذا العظيم.

ذهبت الى المرحوم آية الله فرسيو رحمه الله فعلمني أول درس وهو: بسم الله الرحمن الرحيم. أول العلم معرفة الجبار، وآخر العلم تفويض الأمر إليه.

لقد علمني تلك الجملة، وعلمني إياها بشكل جعلني أحسّ أنني مديون للملاك الغيبي لذاك العالم الكبير الى اليوم. هم علموني أن أول العلم هو آخره، وآخره هو أوله. معرفة الله وتفويض الأمر له. هذا هو السبب الذي جعلهم يصروا على تربية طلابهم على تهذيب وتزكية النفس»[١].

* * *

(١) مجلة كيهان الثقافية، العدد ٩، ص٤ سنة ١٣٦.



الفصل السادس

احترام الوالدين

احترام القائد لأبيه

قال القائد الإمام الخامنئي في درس الأخلاق:

«وليس من السيء أن أنقل لكم هذا الموضوع، كلما وفقت لشيء في أي مجال كان عليَّ أن أراجع حساباتي، وكان برأيي أن كل هذه التوفيقات التي حصلت عليها هي نتيجة عمل حسن عملته لوالدي. ففي سنوات عجز أبي قبل وفاته بحوالي عشرين (كان في سن السبعين تقريباً) ابتلي بمرض ماء العين التي تفقد بصر الإنسان. كنت في ذلك الوقت في قم المقدسة، فبعد عدد من الرسائل التي بعثها لي علمت أن عينيه لم تعد ترى، فذهبت إلى مشهد ورأيت أن عينيه تحتاجان إلى طبيب، راجعت الطبيب، ثم عدت إلى قم لتحصيل العلم لأنني كنت أسكن في قم، ومرة ثانية حان وقت أيام العطلة، فذهبت إلى مشهد واهتميت بأبي قليلاً وعدت إلى قم مرة ثانية لإكمال الدراسة. لكن لم يتحسن في علاجه. وكان ذلك سنة ١٩٦٤ عندما اضطررت لأخذ والدي إلى طهران. لأن علاجه لم يكن يشهد أي تحسن. كنت آمل أن أطباء طهران سوف يطببوا له عينيه، ذهبت إلى عديد من الأطباء وراجعتهم، لكنهم آيسونا بالنسبة له. وقالوا: إن كلتا عينيه قد أُعيبتا وغير قابلتين للمعالجة والإصلاح.

وبعد سنتين عولجت عين واحدة فبقي لآخر عمره يرى بتلك العين فقط، لكن قبل معالجتها لم يكن يرى أبداً، وكان علينا أن نمسك بيده. وقد شكل ذلك غماً لي. فلو تركت أبي وأتيت إلى قم، كان على والدي الجلوس

في زاوية لوحده في البيت لأنه لم يكن باستطاعته المطالعة والتعامل مع الناس أو أداء أي عمل آخر، وكان ذلك يشق عليَّ. وفي الوقت ذاته كان أبي يأنس بي أنساً خاصاً. ولم يكن يأنس بإخوتي كأنسه معي. كان يذهب معي إلى الطبيب، ولم يتسنّ له الذهاب مع أحد غيري.

كنت كلما جلست بجانبه أقرأ له الكتب وكنا نبحث بحوثاً علمية، ومن هذه الجهة كان يأنس معي. لكن إخوتي لم يكن يتسنّ لهم ذلك، على أي حال أحسست أنه إذا تركت والدي في مشهد لوحده ورجعت إلى قم، سوف يهمل ويملّ، وكان ذلك يشقّ عليه. وغير مقبول بالنسبة إلي. ومن الناحية الثانية كان من الصعب عليّ مرافقته وترك قم، لأنني كنت قد أنست بقم وكنت مصمماً على عدم ترك قم لآخر العمر والبقاء فيها. أساتذتي في ذاك الزمان ـ وخاصة البعض منهم ـ كانوا مصرِّين على عدم تركي لقم. وقالوا: من الممكن أن تكون مفيداً في المستقبل إذا بقيت في قم. وأنا بدوري كنت متعلقاً بالبقاء في قم. فكنت حائراً بين خيارين، وكان ذلك عندما أخذت والدي للعلاج إلى طهران. قضيت أياماً صعبة وأنا في حالة التردد والحيرة والإضطراب. كنت ما أزال في التردد والحيرة. وكنت أفضل وأرى أن آخذ أبي إلى مشهد وأتركه هناك وأعود إلى قم. لكن في نفس الوقت كان من الصعب وغير المقبول لديّ ذلك، ذهبت إلى بيت صديق لي، كان يسكن في تقاطع حسن آباد بطهران. وكان صاحب معرفة، رأيت أن قلبي قد ضاق فاتصلت بالرجل وقلت له: هل لديك وقت لآتي إليك؟ فقال: نعم. وكان عصر يوم صيفي عندما ذهبت إلى منزل ذلك الشخص وشرحت له سبب حزني وضيق صدري، وكيف أنني لا أستطيع ترك والدي على تلك الحال، كان ذلك صعباً علي. من ناحية أخرى كنت عليَّ مرافقة والدي، لكن دنياي وآخرتي في قم، ولو كنت من طالبي الدنيا فإنّ دنياي في قم، وإن كنت من أهل الآخرة فإنّ آخرتي في قم. كان عليّ ترك دنياي وآخرتي والذهاب مع والدي والبقاء في مشهد.

تـأمـل صـديقـي قليـلاً وقـال: عليـك أن تعمـل شيئـاً لله، أتـرك قـم واذهب إلى مشهد للبقاء هناك! وسينقل الله دنياك وآخرتك من قم إلى مشهد.

تأملت قليلاً في كلامه، وقلت يا له من كلام، يستطيع الإنسان أن يتعامل مع الله. وكنت أتصور أن دنياي وآخرتي في قم إذا بقيت في قم، كنت أحب قم، لدي حب شديد للحوزة العلمية فيها، وحتى الحجرة التي كنت أسكنها هناك. ولم أكن اتصور أبداً أن أترك قم، وكنت أتصور أن دنياي وآخرتي في قم. فرأيت أن كلامه جيد ولوجه الله. سآخذ أبي إلى مشهد وسأبقى بجانبه، وإذا أراد الله المتعال، فسينقل دنياي وآخرتي من قم إلى مشهد. قررت ذلك، فانفتح قلبي، وفجأة انقلبت أحوالي؛ وارتحت كثيراً، فقررت في الحال وذهبت إلى البيت ببال مرتاح ووجه بشوش. والداي كانا قد لاحظا أنني منذ أيام حزين، فتعجبا. قلت لهم: نعم، قررت أن أذهب إلى مشهد. هم أيضاً ما كانوا ليصدقوا ذلك لأنهم كانوا يعلمون أنه من المستبعد أن أترك قم. ذهبت إلى مشهد، وقد وفقني الله لكثير من التوفيقات هناك. والتحقت بعملي، وإذا كنت قد وفقت لشيء في حياتي فإني أعتقد أنه ناشيء من ذاك البرّ الذي قدمته لأبي. أذكر هذه القصة لتعلموا أهمية هذه المسألة عند الله»[1].

وصية الإمام الخميني في احترام الأم والأب

قال سماحة الشيخ الجمي [إمام جمعة عبادان]:

مرة وبعد لقائي مع سماحة الإمام في جماران، جاء أحد المسؤولين لمتابعة مهامه مع سماحة الإمام وكان معه والده، وعندما عاد الرجل من عند

(١) فصلية التاريخ والأدب المعاصر، العدد١١، ص٨٥ ـ ٨٧.

الإمام قال: عندما أردنا لقاء سماحة الإمام، مشيت في الأمام ومشى أبي في الخلف؛ وبعد أن تشرفنا بلقاء الإمام، عرّفته على أبي. فنظر الإمام إليّ نظرة وقال: أهذا السيد أباك؟ لكن لِمَاذا مشيت في الأمام ودخلت قبله؟»[1]!

غرور الشباب ومحبة الأم

يقول سماحة (السيد بهاء الديني) رحمه الله:

«في شهر رمضان المبارك، كنت أؤدي الأعمال اليومية، وأجلس حوالي الساعة عند أمي، وبعد تناول وجبة الإفطار كنت أذهب لإكمال الدرس والبحث والمطالعة.

وفي إحدى الليالي عدت إلى البيت في وقت متأخر من الليل، بحيث لم تبق إلا ساعة واحدة لأذان الصبح! عندما دخلت إلى البيت، رأيت أمي حزينة وقلقة كثيراً، رأتني فتقدمت لناحيتي وقالت: لماذا تأخرت لحد الآن؟! لم استطع النوم من شدة حزني وقلقي!

وسماحتي بكامل غرور الشباب الذي كان لدي، بدل أن أظهر لها محبتي وأتسامح منها قلت لها: لمَ لم تنامي، كان عليك أن تنامي.

لكن لم يمضي الكثير حتى تلقيت عقاب ذاك اللقاء. ومع أن تلك الليلة كنت قد امضيتها في عمل جيد وحسن، لكن بسبب عدم احترام حقوق الغير وأذية أمي وأبي، تلقيت العقاب»[2].

---

(١) صحيفة الجمهورية الإسلامية ١٩/٦/١٩٩٧م.

(٢) آية البصيرة ص١٢٠.

جزاء احترام الأم

نقل أحد الأشخاص الذين يكنّون الإحترام لسماحة (السيد بهاء الديني): خلال حوار بيننا، ذكر اسم السيد فخر الطهراني. فقال بهاء الديني:

«في جلسة الإمام ولي العصر (عج) في مكّة، ذكرت هناك أسماء عدة من الأشخاص أحدهم اسم السيد فخر الطهراني».

إلتفتت إلى السيد وقلت: أتسمح لي أن أذكر هذا الموضوع للسيد فخر الطهراني؟ فأجاب آية الله بهاء الديني: لا مانع من ذلك.

وما إن ذكرت هذا الموضوع للحاج فخر الطهراني حتى بدأ بالبكاء.

سألته عن سبب توفيقه الكبير هذا؟

فأجاب: لا أدري، لكن من الممكن أن يكون سببه خدمتي لوالدتي، فبسبب شدة مرضها نامت فترة في الفراش وبقيت في البيت الى جانبها. وعطلت جميع أعمالي وانشغلت بخدمتها.

قد يكون هذا العمل البسيط قد قُبل. وخاصة أنها من السادة ومن سلالة الأئمة. بعد وفاة السيد فخر الطهراني، قال آية الله بهاء الديني: أنه بسبب خدماته لوالدته هذه السنوات كلها، هو الآن في سرور وحال جيدة»[1].

---

(١) آية البصيرة ٨٠ و ١٠٥ ـ ١٠٦.

الإحترام للأم العجوز

العلامة (الشيخ محمد جواد مغنية) اللبناني يقول في ذكرياته عن الحج:

«رأيت شخصاً حاملاً أمه على أكتافه، ومن شدة ضعفها كانت قدما العجوز معلقة بأكتاف ولدها. وكان الرجل ماسكاً أمه بكلتا يديه ويسعى بها ويطوِّفها. كنت أراقب المنظر من خلفهم بدقة، أتصور كم أن هذا الشخص يحسب نفسه من السعداء، لأنه ومع تأدية حق الأمومة وأداء وظيفة الولد، كان يرى مكانه في الجنة، وأيضاً كنت أحس أن أمه قد تكون غارقة في الفرح مع وجود هكذا ولد عندها! لأن ابنها الوفي قد حقق لها أغلى أمنية وحلم.

عندما كنت أنظر إلى هذا المشهد تذكرت الأطفال الذين يبادلون حنان الأم والأب بالإساءة ويواجهون والديهم بعقوق وعدم إحترام وطاعة»[١].

احترام الأب في أيام الحج

كتب العلامة (الشيخ محمد جواد مغنية) اللبناني:

«رأيت خلال مناسك الحج مشاهد أثرت قلبي أعمق أثر، ولا شك أن هناك مشاهد أكثر جاذبية وأكثر تأثير لكني لم أوفق لرؤيتها. رأيت عجوزاً كانت ترتعش أعضائه من شدة كهولته، وكان ماء فمه وأنفه يسيلان. وكان هناك شاب في حدود الثلاثين سنة، مرشده. كان الشاب يأخذه إلى جانب بيت الله الحرام، ويساعده بسعي (الصفا والمروة) بخلوص تام وكان يسعى لكسب رضاه وراحته.

---

(١) هذه هي الوهابية، ذكريات عن الحج ص٢٩.

سألته: من أي بلد أنت؟

قال: أنا عراقي.

قلت: من هو هذا الرجل؟ فقال: إنه والدي.

فدعيت له وتمنيت وطلبت له من الله التوفيق الأكبر.

فقال الشاب بكمال خلوص النية: أسأل الله أن يوفقني لأداء حقه، وأطلب منه إعطائي سعادة خدمته»[1].

احترام الشهيد المطهري لوالدته

نقل (مجتبىٰ) ابن الأستاذ الشهيد الشيخ مرتضى المطهري عن والده قوله:

«أتامل أحياناً في أسرار وجودي وأعمالي، فأدرك أن أحد بواعث الخير والبركة في حياتي، وأسباب تنزّل العناية واللطف الإلهي هو احترامي وإحساني لوالديّ. خاصة خلال فترة شيخوختهما ومرضهما، ورغم فقري المالي ومشاكلي المادية، كنت أبذل قصارىٰ جهدي لمساعدتهم».

ونقل (مجتبىٰ) عن والدته قولها:

«كانت والدة الشيخ توليني عناية خاصة من بين زوجات أبنائها، بسبب حبها الخاص لابنها الشيخ مرتضى. وكانت تلك المحبة متقابلة. ففي بداية زواجنا شكوت له والدته بعض الشيء، فتأثر الشيخ كثيراً، ولم يكلمني طوال اليوم، عندها أدركت مدى احترامه الخاص لوالدته، ولم اتحدث بعد ذلك عن الموضوع مطلقاً».

عندما كان الشيد المطهري يلتقي والديه كان يقبل يديهما، وكان يوصينا أن نقبل أيديهما أيضاً[2].

---

(١) هذه هي الوهابية ذكريات عن الحج، ص٢٨.

(٢) لمحات خاصة عن حياة الشهيد المطهري ج ٢ ص ١٤٩ ـ ١٥١.

احترام الأستاذ مطهري لوالده

يقول القائد المعظم الإمام الخامنئي عن الشهيد الشيخ المطهري:

«من جملة الخصائص التي شاهدتها فيه، بالنسبة لهذا الموضوع والتي كانت ملفتة بالنسبة إليّ، أنه كان يكن لأبيه احتراماً عجيباً.

كان أباه من العلماء المحترمين في (فريمان) وكان يكنّ له المرحوم المطهري احتراماً عجيباً. في حين كان المرحوم مطهري ـ رضوان الله تعالى عليه ـ قطعاً يمتلك مرتبة فكرية وشخصية أعلى وأرقى من والده لا تقاس، لكنه كان يخضع أمام والده بشكل لا يوصف. والسبب في ذلك أنه كان يقول: إن أول شخص علمني وهداني إلى المسائل المعنوية والحال والعبادات هو أبي. وكان يقول مثلاً: إن أباه كان يدفعه الى قراءة القرآن في الطفولة والشباب»[١].

العودة إلى مسقط الرأس

ينقل (آية الله الميرز عبد الحسين الغروي التبريزي):

«السيد علي، جدنا الأكبر كان يتولى إمامة الجمعة في بلدة (خامنه)، وقد كتب في خاتمة كتاب شرح اللمعة، بخط جميل وواضح لأولاده:

(أولادي! اذهبوا إلى المناطق الكبيرة وابقوا فيها. لقد طلبت العلم في النجف. ومن النجف تشرفت إلى مشهد. وكان لديّ في ذاك البلد حوزة علمية. لكن والدتي كتبت لي: تعال إلى (جهرگان) فأطعت أمرها وأتيت إلى هنا»[٢].

---

(١) لمحات خاصة عن حياة الشهيد المطهري ج ١ ص ٥٨.

(٢) مجلة الحوزة العدد ٦٢ ص ٣٧ مقابلة مع آية الله الغروي.

طاعة الأم

ذكر في قصة حياة (آية الله الميرزا جواد الطهراني):

«مع أنه كان مصمماً على البقاء في النجف الأشرف، وإكمال دراسته، استلم رسالة من والدته المكرمة تأمره فيها بالرجوع الى طهران، ورغم ميله الشخصي للإقامة في النجف ومن منطلق قوله: (إن طلب العلم واجب، وإطاعة الوالدة أوجب) عاد إلى طهران، وبعد مضي ثلاثة أيام على حفل زفاف بسيط كانوا قد هيأوه له من قبل، انطلق إلى مشهد»[1].

* * *

(١) ميزان المطالب، ص١٦، الطبعة الرابعة.



الفصل السابع

احترام الأستاذ

مرافقة الأستاذ إلى باب الدار

يقول (آية الله الشيخ علي بناه الاشتهاردي) عن الإمام الخميني (قدس سره):

«كان الإمام يحترم آية الله البروجردي دائماً، وفي المقابل كان آية الله البروجردي يعتني به كثيراً.

الإمام رحمه الله شارك في درس الفقه والأصول لآية الله البروجردي لعدة سنوات. وكان يحترمه أكثر بكثير من احترام أي طالب لأستاذه، أحياناً عندما كان آية الله البروجردي يأتي الى الإمام الخميني ـ رحمه الله ـ كان الإمام يرافقه إلى حد باب الدار»[1].

ثلاثة أيام من احترام الأستاذ

كان العالم الرباني والفقيه الكبير (آية الله الميرزا اندرماني الطهراني) يبحث في أحد الأيام حول مسألة علمية مع (فاضل الدربندي) أحد العلماء والحكماء المعروفين وكان الحق في هذه المسألة مع جناب الميرزا محمد الطهراني ومع ذلك كان هو من يتنازل في مقابل فاضل الدربندي، وكان يتحمل الكلمات القاسية وغير المقبولة بحلم وصبر عجيب. وبعد نهاية الجلسة سألوا آية الله الطهراني عن سبب تنازله وقالوا: إن الحق كان معك، فلمَ تنازلت وسلمت؟ فأجاب آية الله الطهراني:

---

(١) «خطوة خطوة مع الشمس» ٢ ص٣١٩.

«لأنه له عليَّ حق الأستاذ؛ فعندما سافرت إلى العتبات المقدسة لتحصيل العلم حضرت في درسه لمدة ثلاثة أيام! لذا له علي حق التعليم ولا بد من احترامه».

يقول (آية الله الملا حبيب الله الكاشاني) بعد نقل هذه القصة:

«يا أخي فكر كيف أنّ هذا العالم الكامل مع كل ذلك العلم وتلك الفضائل، راعى حق ثلاثة أيام تعليم، لكن الطلاب والجامعيين في عصرنا، مع أنهم لا يملكون من العلم شيء، لا يراعون حق أساتذتهم حتى لو درسوا عندهم عشر سنوات!

أقسم إنّ عدم رعاية حرمة الأستاذ هذه هي السبب بعدم وصولهم مرتبة العلماء العاملين، ويبقون جهلاء يلبسون زي العلماء، وهؤلاء الأشخاص لن يصلوا إلى أسباب السعادة والعروج إلى المراتب العليا»[١].

الإحترام الفائق للأستاذ

«كان المرحوم والد سماحة آية الله العظمى الميرزا محمد علي شاه آبادي يكن محبّة عجيبة لأستاذه المرحوم الآخوند الخراساني، وفي الواقع كان يعشقه. وعند تدريسه (شرح الكفاية) كان كلما ذكر مطلباً من الأستاذ المعظم، كان ينهيه بجملة «روحي فداه» وفي هذا الموضوع كلما كنا نرى سماحة الإمام الخميني قدس سره [تلميذ آية الله شاه آبادي] في مقام البحث قد ذكر أي مطلب عن المرحوم الوالد، كان ينهي كلامه بجملة روحي فداه، وهذا الشيء مذكور ونستطيع قراءته في كتبه ومؤلفاته»[٢].

---

(١) «لباب الألقاب» ص١٠١، ١٠٢.

(٢) «التاريخ والأدب المعاصر» العدد ٥، ص١٨٤ نقلاً عن السيد نور الله شاه آبادي.

اخر وصية

«هناك أمر لم أنقله لكم عند البدء في (المكاسب) حتى لا سمح الله لا يظن أحدكم أنني أقول هذا الكلام لنفسي. ولكن لأنها آخر جلسة في درسنا وأكثر الرجال سيشاركون في درس الخارج عند كبار علماء الحوزة العلمية في السنة القادمة، ومن جهة أخرى تعتبر هذه الجلسة الأخيرة والوداعية، أقول على الأقل على الأخوان الطلاب أن يروا كتاب «منية المريد» من بين الكتب الأخلاقية ويعلموا كم أن للأستاذ حق، وما هي حقوق الأستاذ على الطالب وكيف يلزم أن تكون المعاشرة واستقبال الأستاذ. وكيف يلزم أن يحفظوا حرمة الأستاذ. يشهد الله، إنني أعرف أشخاصاً كانوا في دراستهم هتاكين، لا يحترمون أساتذتهم، ولم يراعوا احترامهم. لم يوفقوا في دراستهم أصلاً حتى لو استطاعوا أن يصلوا إلى حد في العلم؛ لم يستطيعوا أن يكونوا خداماً للدين والمسلمين... وإذا درسوا وأصبحوا علماء، فلن يصبحوا خداماً للدين والمتدينين. لذا أوصيكم في الجلسة الأخيرة هذه أن تحفظوا إحترام أساتذتكم، عند أي أستاذ درستم إحفظوا له احترامه»[1].

احترام الكبار

لماذا أعلن آية الله الشيخ محمد حسين الكمباني تعطيل الدرس؟

من المستحسن هنا أن أنقل خاطرة عن المرحوم آية الله (الشيخ محمد حسين الكمباني)، حتى يتبين لنا كم أن الكبار كانوا يحترمون أساتذتهم.

في سنة ١٣٤٥هـ.ق.، وضمن درس الأصول، كان الكلام حول

(١) سيرة آية الله باياني ص٦١ ـ ٦٢.

الإستصحاب، عندما نقل لنا كلام المرحوم آية الله الآخوند الخراساني، في هذا الموضوع، ورداً على الموضوع قال: «هذا الكلام وهم».

بعدها سكت مباشرةً وعطّل الدرس. ولهيبته الشديدة لم يسأله أحد عن سبب تعطيل الدرس.

ثم قال هو: «نحن الذين هكذا لم نحترم أساتذتنا وليس لدينا المقدار الكافي لإحترام الكبار، ليس لدينا اللياقة لإعطاء الدرس، وليس من المفروض علينا إعطاء الدرس»[1].

احترام ولي الفقيه لأستاذه وأخيه

مرات ومرات، كنت شاهداً على الإحترام الزائد الذي يبديه سماحة الإمام لآية الله بسنديده، كان السيد بسنديده الأخ الأكبر للإمام، وأستاذ الإمام الخميني (رحمه الله) في زمن الطفولة والشباب، وكان الإمام يحترمه في مستوى أستاذه أو شبه أب»[2].

قُبْلة على ركبة الأستاذ

«قال لي آية الله العظمى رفيعي القزويني بعد الدرس: إبق. وعندما ذهب زملائي في الدرس قمت وتقدمت نحو الأستاذ وانحنيت وقبلت ركبة الأستاذ... ومرة ثانية ذهبت بعد الدرس وقبلت ركبتيه وتساقطت دموع الشوق من عيناي...»[3].

(١) مجلة الحوزة العدد ٣٠/٤٧. مقابلة مع آية الله الحسيني الهمداني.

(٢) «في ظل الشمس» ص١٠٣.

(٣) آية الله حسن زاده الآملي «في سماء المعرفة» ص٢٨٨.

الإحترام في تسمية الكتب

«إعلم أنّ تسمية كتاب (القوينون) مقابل كتاب القانون للشيخ الرئيس (ابو علي سينا) احتراماً له. كما أن (الملا الحاجي البابائي القزويني) والذي هو من طلاب الشيخ البهائي صاحب (الكشكول)، سمى مجموعته (الكشيكل) تأدباً ورعاية للتواضع في مقابل أستاذه وكشكوله.

كما أن (حبيب الله قاآني) احتراماً للشاعر الكبير (سعدي) سمّىٰ ديوانه (المضطرب) لأنّ سعدي في البداية، ذكر سبب تأليف الكتاب: بعد تأمل هذا المعنى رأيت من المصلحة أن أجلس في مجلس العزلة، وأهيىء الكلام وأغسل الدفتر من الأقوال المضطربة»[1].

السكوت احتراماً

العلامة الطباطبائي ـ صاحب الميزان ـ كتب في رسالة لمؤتمر الألفية لنهج البلاغة:

«ما هو مهم للعلماء، الأدب العلمي الذي يشاهده الإنسان في صاحب نهج البلاغة، يعني مع أنه كان يحتوي في قلبه بحراً من العلوم المختلفة ومع ذلك كان في زمن خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ لم يذكر أي شيء عن لسانه في أي موضوع. وكان في مقابل الرسول إذن تسمع فقط. وهذا أكبر درس لأي فيلسوف أن عليه الحفاظ على أدبه العلمي، وحتى لو توصل لأي ابتكار علمي لا يظهر ذلك أمام أستاذه، وتلك أكبر طريقة اخلاقية فلسفية لئلا يخسر الشخص نفسه أمام ما اكتشفه، وهذا أكبر درس ممكن على الفيلسوف أن يتعلمه من نهج البلاغة»[2].

---

(١) «الف نكتة ونكتة» ٢/ ٧٤٢.

(٢) «من رسالة العلامة الطباطبائي في: ١٧/ ٥/ ١٩٨١ لمؤتمر ألفية نهج البلاغة.

لا يتعطر إحتراماً للأستاذ

«كان لأستاذنا العلامة الطباطبائي حب كبير لأستاذه المرحوم القاضي، وحقاً كان يرى نفسه صغيراً أمام أستاذه. وكان يرى في وجه المرحوم القاضي دنياً من العظمة والأبهة والأسرار والتوحيد والملكات والمقامات.

وفي يوم قدّمت له عطراً، فأخذ العطر بيده، وتأمل قليلاً وقال: لحد الآن وطوال سنتين مضتا على وفاة أستاذي القاضي ولم أضع العطر.

وحتى أيامه الأخيرة أيضاً كان عندما أقدّم له العطر، كان يضعه في جيبه، ولحد الآن لم أره يوماً يستعمل العطر، مع أنه قد مضى على وفاة أستاذه ستة وثلاثين سنة»![1]

الإعتراف بحق الأستاذ

«طلب آية الله حجت تدريس كتب «الثلاثين فصلاً» للعلامة نصير الدين الطوسي في الاسطرلاب وشرح نظام الدين النيشابوري على «التذكرة» للطوسي في علم الهيئة في النجف مع جمع من طلاب علم آخرين من العلامة السردار الكابلي، وقد استفاد المرحوم (حجت) في الرياضيات منه [العلامة سردار الكابلي]. وفي كل أسفار السردار إلى العتبات، وعندما جاء آية الله حجت إلى قم وكذلك سردار استمرت تلك الدروس.

مع أنه في حضور السردار عدة مرات تبادلنا الكلام عن آية الله حجت، لكننا لم نسمع عن موضوع التعلم والتعليم، ولم يُظهر أي شيء بالنسبة لهذا الموضوع. أنا بنفسي سمعت في قم آية الله حجت يقول ضمن مدحه

---

(١) «القمر المنير» ص٢٤، الطبعة الثانية.

وتمجيده الوفير عن علم وفضائل سردار النفسانية: إنه بالنسبة إليّ بمثابة الأستاذ وقد درست عنده الرياضيات... آية الله حجت يقول حتى في وقت مرجعيته لم يكف عن اظهار هذا الأمر أي أنه درس عند السردار الكابلي وتتلمذ عنده في الرياضيات. قد ذكر هذا الأمر مرات، وكان يشجع تلامذته على تعلم هذا العلم...»[1].

احترام العلامة الطباطبائي

قال حجة الإسلام والمسلمين جناب السيد محمد باقر حجتي:

«إحدى ايام... كان أستاذنا الكبير الشهيد المطهري جالساً بجانبي في السيارة في القسم الخلفي حتى نصل إلى البلدة.

لا أستطيع وصف كيفية جلوس الأستاذ مطهري بجانب المرحوم العلامة الطباطبائي بلحاظ التواضع والإحترام. كان يظهر في وجه آية الله المرحوم مطهري وكيفية جلوسه في محضر العلامة كمال ومنتهى درجات التواضع والتي لفتت انتباهي وقد تعلمت من هذه الحادثة درساً كبيراً.

في هذا الحال، أكثر من أي شيء كان ملفتاً وعجيباً بالنسبة لاحترام الأستاذ مطهري للعلامة الطباطبائي الكبير، والذي يجسم مدى نسبة خضوع المرحوم مطهري للآداب والتقاليد التي تحتم احترام الطالب لأستاذه[2]».

بعث الصلوات للأستاذ

يقول آية الله الشيخ علي بناه الإشتهاردي: «نستطيع بعث الصلوات لغير المعصوم أيضاً، وكما ينقل أن الشيخ الطوسي كان من تلامذة السيد

---

(١) «حياة سردار الكابلي» ص١١٧.

(٢) «الماضي الخاص» ٢/ ٧٦ ـ ٧٧.

المرتضى، وشارك في دروسه حوالي خمس سنوات، وكان إذا ذكر اسم أستاذه يبعث له الصلوات»[1]!

رعاية حال الأستاذ

معروف أن المحقق العظيم آية الله العظمى السيد ضياء الدين العراقي كان سريع الغضب وضعيف الأعصاب. فيقول آية الله الكلبايكاني رحمه الله عنه:

«في درسه خطر ببالي اشكال وذكرته، فأجابني. ومرة ثانية ناقضته لحد انني أحسست انه من الممكن أن يتضايق ويغضب فسكتت ولم أتكلم وفي الليلة الثانية عندما بدأ بالدرس قال: أين السيد كلبايكاني؟

وعندما قيل له هنا، بدأ بالبحث وعَقَّبَ مطلب الليلة السابقة. وفي هذه الليلة أيضاً ذكرت إشكالاً وبحثنا فيه. ومرت عدة ليالي على هذه الطريقة.

وفي أحد الأيام كنت في طريقي تواجهت معه، فقال لي: لم أعامل أحداً كما عاملتك، أي لم أغضب لأسئلتك. فأجبته: صحيح هذا لكن عندما أحسست أنه من الممكن أن تغضب وتتضايق لم أكمل البحث.

الجدير بالذكر أن المرحوم (ضياء الدين) أقام مجلس ضيافة على شرف المرجع العظيم السيد الكلبايكاني، والخلاصة أنه استضافه في منزله»[2].

احترام ابن الأستاذ

يقول الشيخ مهدي عن أبيه سماحة آية الله العظمى النائيني:

«كان مواضباً على الإحترام الزائد لأساتذته، وكان دائماً يجعل

---

(١) درس «منية المريد» في: ٣/١٢/١٩٨٧م.

(٢) شمس سماء الفقاهة والمرجعية ص٤٢.

احترامهم جزء من جدول أعماله. أحياناً كان يشارك في بعض المجالس وكان ابن المرحوم الميرزا الشيرازي الكبير الميرزا علي يحضرها، فكان حين خروجه أو دخوله يقدّمه على نفسه احتراماً لوالده المعظم... وهذا هو تطبيق الحديث: من علمني حرفاً فقد صيرني عبداً»[1].

احترام الشيخ الأنصاري لإبن صاحب الجواهر

«... كان الشيخ مرتضى الأنصاري فريداً في أخلاقه، وكان في العلم والقداسة والزهد والتقوىٰ ليس له نظير، وكان يوقر ويعظم أسماء العلماء عند ذكرها وفي أحد الأيام جاء الشيخ عبد الحسين الجواهري ـ ابن صاحب الجواهر ـ بعد درس المقدمات والسطوح ليحضر درس أبيه، وعندما توفي أباه؛ أكمل دراسته عند الشيخ مرتضى الأنصاري و[بسبب تعظيم أباه صاحب الجواهر] كان الشيخ يبارك قدومه ويحترمه، حتى أنه كان أحياناً أثناء الدرس عندما يدخل يقوم الشيخ مرتضى عن المنبر ويحييه»[2].

الإحترام لكاتب الأستاذ

«شمس الدين خسروشاهي، الفيلسوف والعالم المعروف في القرن السابع الهجري القمري، وتلميذ ابن الخطيب الإمام الفخر الرازي مؤلف تلخيص كتاب الشفاء لأبو علي سينا بعد أن ان اشتهر كثيراً وأصبح استاذ التدريس في دمشق ومورد احترام وتعظيم الرجال والأمراء في ذاك الزمان، عُرِض عليه في أحد الأيام نسخة فبدأ بمطالعتها. وفجأة قبّلها ووضعها على رأسه!! فسأله من كان حوله عن سبب هذا التعظيم. فقال: عند مطالعة

---

(١) مجلة الحوزة، ٧٦/١٧.

(٢) «سيماء الصالحين» ص٢٦٠.

الكتاب، انتبهت أن هذه النسخة بخط أستاذي ابن الخطيب، وهذا هو سبب التعظيم»[1].

دائماً في ذكرى الأستاذ

«كان آية الله العظمى الكبايكاني في بداية تدريسه وقبل البدء بالدرس، ملتزماً بقراءة الفاتحة لروح أستاذه المعظم، ولم يكن يترك هذا الأمر أبداً. . . وكان عندما يتشرف لزيارة الحرم المطهر، يأتي إلى قبر أستاذه ويقف بجانبه ويقرأ له الفاتحة، ولم يكن ليترك المكان قبل الاتيان بزيارته، من الممكن أن يقوم أفراد عاديون بمثل هذا العمل، ولكن منه مع كل مشاغله وتراكم أعماله وضعف بنيته وصحته ومسؤوليات المرجعية، يعني أن هناك ترابط معنوي قوي بينه وبين أستاذه»[2].

* * *

---

(١) تاريخ علوم وأدب إيران، ذبيح الله صفا ص٣٦.

(٢) شمس سماء الفقاهة، ص٨٤.



الفصل الثامن

احترام التلميذ

الإحترام في الصف

جاء في ذكر أحوال الزاهد الحكيم والعالم الميرز الجواد آقا الطهراني:

«كان يحترم تلاميذه احتراماً حسناً، وأحياناً عندما كان أحد الطلاب يسأل سؤالاً يستوجب ضحك الآخرين عليه، كان يوجه سؤاله بشكل مقبول ويؤوّله كي يخرجه من خجله، ومن ثم يجيب على سؤاله بشكل مقبول. وهكذا كان حتى أصبح درسه حلقة أنس ومحبة في الحوزة. كان يجلس حتى الإمكان بجانب تلاميذه على الأرض، ولم يكن يخصص لنفسه مكاناً خاصاً ومميزاً، بل كان بكمال التواضع يجلس على ركبتيه وبدون مسند، ويدرس بلطف وبسمة إضافة إلى الأدب والإحترام»[1].

احترام الكبير والصغير

جاء في شرح حال آية الله العظمى الميرزا الكبير صاحب فتوى تحريم التنباك:

«كان يتعامل مع علماء الحوزة، وطلاب العلوم الإسلامية كأب حنون. لم يكن يغفل عن أصغر الأمور ليهتم بها. مع الكل، حتى الطلاب المبتدئين أو الصغار، كان يعاملهم بكمال الأدب والإحترام. كان يعرف مكانة كل شخص وفضله وعلمه، وكان يحترمه.

وعندما كان يدفع رواتب الطلاب، كانت لديه طريقة احترام لحد لا

---

(١) ميزان المطالب، ص١٤، الطبعة الرابعة.

يوصف، وهكذا مع باقي الناس في الموارد المختلفة، فقد كان يقابلهم بكل أدب واحترام. ويستمع الى كلامهم، ويدفع للمحتاجين منهم. ويراعي هذا الإحترام حتى مع عائلته وأهل بيته وأطفاله الصغار. الكل كانوا عند الدخول يستأذنوه. وكل شخص كان يدخل إليه كان يقف احتراماً له، وما أن يخرج من عنده حتى يفعل ذات الشيء»[١].

الدفاع باحترام عن الطلاب

من جملة الخصوصيات الحسنة التي ترى في طريقة تدريس المرحوم آية الله الشيخ كاظم الشيرازي هي أنه كان فاتحاً لميدان البحث للطلاب ليبحثوا، وكان فاتحاً مجال البحث، وكان يسمح لهم بالنقد والإنتقاد. لم يكن ليردّ أحداً. لا أنسىٰ، يوم أشكل أحد الطلبة الجُدُدْ ولم يكن اشكاله في مورده. طبعاً، الطالب الجديد لم يكن يعلم. فقال أحد الطلاب السابقين: يا فلان! لا تتكلم كلاماً ليس له علاقة بالموضوع. لكن الشيخ كاظم رحمه الله تضايق وقال له: في بداية البحث عندما بدأتم بطرح الإشكال هل كان كله في محله؟ إصبر عليه، هذا الطالب سيصل تدريجياً إلى المطالب المربوطة»[٢].

احترام أستاذ الأخلاق

كان آية الله العظمى البروجردي يسعى لإصلاح حال الطلاب. وفي أحد أيام الأربعاء ومع بداية التعطيلات كان ينصح الطلاب، وكانت هذه النصائح مؤثرة جداً. كان يقول: «ليت أحداً يكون في قم مثل الميرزا علي الشيرازي ويعطي مواعظ للطلاب».

(١) يقظو أقاليم القبلة ص٢١٤.
(٢) «مجلة الحوزة، العدد ١٩، ص٢٥، مقابلة مع العلامة محمد تقي الجعفري.

وكانوا في بعض الأوقات يدعونه للمجيء إلى قم ونصيحة الطلاب. مع أن الميرزا علي الشيرازي كان تلميذاً لآية الله البروجردي في اصفهان لكنه كان يحترمه كثيراً»[١].

احترام مجلس الدرس

قال المرحوم آية الله الميرزا حسن النوري عن مجلس الدرس والبحث في خصوص أدب واحترام آية الله العظمى البروجردي:

«في السنوات العديدة والتي كنت في خدمته، لم أره يوماً بدون العباءة أو العمامة، وكان يجلس دائماً على ركبتيه، ولم أره يوماً جالساً بغير هذه الحالة. كان يشتكي دائماً من وجع رجليه. فاقترح الطلاب عليه أن ينزل قدميه عن الكرسي ويضعه في أسفل الكرسي خلال الدرس وعدم الجلوس على الركبتين.

فقال بتعجب: كيف أفعل هذا والرجال جالسون أمامي. والطلاب هنا.

على هذا، كان قد وضع كرسي صغير في بيته ليمد رجليه تحته عند حضور المراجعين[٢]».

ثمرة العلم

«كان تواضع المرحوم الحاج رضا بشكل أنه كان يقف لكل من يدخل عليه، حتى أنه كان يقف لكل الطلاب والتلاميذ الذين يدخلون عليه أثناء

---

(١) مجلة الحوزة، العدد ٤٣، ص٦٤ نقلاً عن آية الله السيد مصطفى الخونساري.
(٢) مجلة الحوزة، العدد ٤٣، ٤٤ ص٢٤١.

الدرس، مع أنه لم يكن من العادة في ذاك الوقت أن يقف الأستاذ احتراماً لتلميذه أيام الدرس، وحتى أثناء الدرس أو خارجه؛ لكن المرحوم الحاج رضا لم يكن هكذا؛ كان عند دخول أي طالب إلى الدرس يقف مع أنه يحمل الكتاب بيده حتى لو كان ذلك في وسط الدرس كان يقف والطلاب جالسون[1]».

الأستاذ المناسب المحترم

قال النبي عيسى عليه السلام للحواريين: «لي حاجة، فإن وعدتموني بقضائها، قلتها».

فقال الحواريون: «نطيعك في كل ما تأمر به»..

فقام عيسى عليه السلام وغسل أقدام كل واحد منهم. فأحس الحواريون بالمضايقة، لكنهم كانوا قد وعدوه، فاستسلموا له، وغسل عيسى عليه السلام أقدام الجميع. فما أن أتم النبي عيسى عليه السلام عمله، قال له الحواريون: أنت معلمنا، وليس من المناسب أن تغسل أقدامنا، كان علينا نحن أن نغسل قدميك.

فقال عيسى عليه السلام: «فعلت هذا لأفهمكم أنه أنسب شيء أن يكون الإنسان في خدمة الناس والعالم. فعلت هذا لأتواضع وتكونوا قد تعلمتم درس التواضع بعدي، ولتكونوا أهلاً للتعليم وإرشاد الناس، أن تكون أصول وقاعدة الخلق التواضع وخدمة الناس والخلق. في الأساس تنمو الحكمة في مجال التواضع لا التكبر مثلما تكبر وتنمو النباتات في الأرض الناعمة لا الصلبة الجبلية»[2].

---

(١) سيماء الصالحين، ص٣٠٤.

(٢) قصص الصالحين» ص١٣١، القصة ٦٠.

احترام خاص للطلاب المجدّين

«كان آية الله العظمى النائيني يهتم بطلابه. وكان يحترم كل واحد منهم بمقدار العلم الذي لديه. حتى في جلسات الدرس، كان عدة من خواصه، لهم عنده مكانة.. خاصة والذي لم يكن أحد غيرهم يجلس فيه. أساساً كان يحترم الطلاب والفضلاء المجدّين احتراماً خاصاً»[1]..

* * *

(١) مجلة الحوزة ٣٧/٥٥ مقابلة مع آية الله مرتضوي اللنكرودي.

الفصل التاسع

الإحترامات اللازمة: احترام ولي الفقيه، العظماء، الشباب، الضيف السيد، القائد وغيرهم

احترام ولاية الفقيه

الذكرى الحلوة التي ستبقى دائماً في ذاكرتي هي أنه في السنوات الأخيرة لحياة الإمام الخميني جاء آية الله الأراكي ـ بعد سفره لمشهد ـ لرؤيته.

مع سماع الإمام بمجيء وحضور آية الله الأراكي إلى منزله، لبس ثيابه مباشرة ووضع العباءة على كتفيه وذهب لاستقباله.

وفي لحظة ورود الإمام إلى الغرفة وبمجرد رؤيته قال آية الله الأراكي: السلام عليك يا ابن رسول الله[1].

* * *

قال آية الله مصلحي الأراكي: «ذهب المرحوم الوالد مرتين لرؤية الإمام في طهران، واحترمه الإمام كثيراً. وكان الحنان من الجهتين.

ما أحلى الحب والحنان من الجهتين وكم هو مؤذٍ من جهة واحدة

خاصة عند دخولنا إلى باب الغرفة قال والدي بحالة البكاء:

السلام عليك يا ابن رسول الله.

فقام سماحة الإمام وتعانقا وبكيا بكاءً شديداً[2].

(١) شرح أحوال آية الله العظمى الأراكي ص٦٢٠ نقلاً عن آية الله التوسلي.

(٢) نفس المصدر ص٦٤٠ نقلاً عن ابن آية الله الأراكي.

احترام القائد المعظم لقاريء العزاء

أثناء جلسة مشهد في بتاريخ ١٩/٨/١٩٩٦م جاء شخصان يحملان رجلاً مسناً نحيفاً وقصيراً من تحت أبطيه، وادخلاه إلى داخل الغرفة.

السيد القائد المعظم أشار ودعاه للجلوس بجانبه الأيمن وفتح له مكاناً بجنبه ومن ثم سأله عن حاله. لكن الرجل لم يكن يسمع أبداً.

السيد معصومي كان بجانبه الآخر فأفهمه بصعوبة أن السيد يسأله عن أحواله، وأخيراً أجاب: الحمد لله.

ثم قدم قائد الثورة كوباً من الشاي والسكرية للشيخ علي أكبر، ليشرب الشاي. فسألت الرجل الذي بجانبي: من هذا الرجل المسن؟ فقال: كان قاريء عزاء في السابق في سوق سرشور والمحلات القريبة وكان أيضاً من جيران السيد الخامنئي في مشهد[١].

آية الله يقبّل يد آية الله

أحد طلاب العلم المشاركين في رحلة الولاية ـ صيف ١٩٩٦م قال لي يوماً: نحن لحد الآن لم نكن نعرف آية الله المصباح، لكن في هذه الرحلة رأينا منه حركات وتصرفات مبهتة وغير قابلة للتوصيف. قال طالب العلم ذاك: في اليوم الأول الذي جاء فيه سماحة آية الله العظمى جوادي آملي ـ حفظه المولى ـ لإلقاء خطبة، بمجرد نزوله من السيارة أسرع إليه آية الله المصباح وانحنى ليقبّل يد آية الله الجوادي. هذه الحركة المؤدبة أثرت في الشباب طلاب العلم والذين كانوا يشاهدون القضية سبعة أو ثمانية من

(١) في محضر العظماء، ص١٧٩.

الشباب وهملت الدموع من أعينهم، وقد خنقتهم العبرة وأرادوا البكاء!

أضاف هذا الأخ: هذه الأخلاق وهذا الأدب واقعاً هو درس لنا لأن هذه التصرفات لم نراها بين الأساتذة من قبل![1].

إحترام الأسماء الحسنة

جاء أحد الاشخاص للقاء آية الله الميرزا جواد آغا وسأله: يا سيد، لدي بساط (من النوع الرخيص) مكتوب عليه اسم إبراهيم، هل يجوز وضع القدم عليه مع أن الاسم هذا غير مكتوب بنيّة النبي إبراهيم عليه السلام بل بالنية المطلقة وغير مقصود فيه شيء خاص؟

فقال: حتى لو كان الاسم مطلق، لكني لا أفعل ذلك ولا اضع قدمي عليه[2].

الاحترام المعنوي أو المادي

رجل ذهب إلى سامراء للقاء المرحوم الميرزا الشيرازي، ليساعده الشيرازي. لكن المال الذي أعطاه إياه الميرزا كان قليلاً نسبياً. وعندما عاد إلى النجف قالوا له: لهذا المقدار القليل، ذهبت كل هذه المسافة؟.

فقال لهم: ليس مهماً. لأن الميرزا أعطاني من الاحترام أضعاف هذا المال[3].

---

(١) في محضر العظماء ص١٩٨ لكني أتذكر هي أنه في السنوات الأخيرة لحياة الإمام، جاء آية الله الأراكي ـ بعد سفره لمشهد ـ لرؤيته.
(٢) ذكرى من قانون الأخلاق ص٣٨.
(٣) مجلة الحوزة ٣٧/٥٥ نقلاً عن آية الله مرتضوي اللنكرودي.

يد على الصدر في مقابل العظماء

نقل آية الله جعفر السبحاني عن آية الله العظمى الخوئي فقال:

«كان يكرم العظماء أكثر من الحد. أذكر يوماً عندما كان يلقي درساً في المسجد، كان سماحة آية الله الحكيم يدرّس في نفس المكان بعد درسه، لكن الأستاذ بقي بعد الانتهاء من التدريس لأجل مذاكرة الطلاب في مكانه، وفجأة دخل آية الله الحكيم إلى المسجد، وعندما وقعت عين آية الله الخوئي عليه أخذ حذاءه ولوازمه الأخرى وقام بلبكة شديدة ووضع يده على صدره واعتذر»[١].

احترام وقت الناس

كان آية الله الميرزا جواد الطهراني يهتم كثيراً بالوقت خصوصاً وقت الناس الى حد أنّ هذا الأمر كان محسوساً في وصيته لأنه كان قد كتب في وصيته لأولاده أن لا يقيموا له أكثر من ساعتي عزاء، وقال لأولاده شفهياً إنَّ هاتين الساعتين فقط رعاية لاحترامكم وإلا حتى هذا المقدار ليس من الضروري.

وكان يهتم كثيراً لوقت الناس، ومن وصاياه قوله لأولاده: عند تشييع الجنازة إذا حضر أربع أشخاص فلا تنتظروا تجمع الناس، بل شيعوني ولا تهدروا وقت الناس[٢].

---

(١) مجلة رسالة الإسلام السنة ٣٢ العدد٦.

(٢) ذكرى من قواعد الأخلاق ص٣٨.

ما هي الوظيفة في أعطاء الدرس؟

كان الميرزا محمد علي شهاردهي الرشتي المعروف بالمدرس قد اشتغل لسنوات طويلة في النجف الأشرف في تدريس سطوح الفقه والأصول على جمع كثير من العلماء والفضلاء أنهوا دورة السطوح عنده. فالأشخاص الذين كانوا في زمانه، ودرسوا عنده، كانوا يعتقدون أن مقامه العلمي يقضي بتدريس الخارج. لكنه بسبب النذر الذي كان قد نذره، تعهد بتدريس كتب السطوح، كما أن الفاضل السيد مرتضى المدرِّس كتب أن سبب النذر المذكور هو أن أكثر الطلاب الذين كانوا يذهبون إلى النجف الأشرف، كانوا يريدون فقط اكتساب عنوان الطالب. وكانوا يريدون إيجاد مقام لهم في بلدهم، لهذا كانوا يذهبون إلى درس الخارج عند الأساتذة ذوي المقامات العالية دون أهليتهم لذلك، في حين أن أغلب الطلاب لم يكونوا ليفهموا شيئاً، وكانوا عاجزين عن فهم هكذا دروس، وكانوا يفتخرون أنهم قد درسوا عند المجتهد الفلاني، فعندما رأى المرحوم الميرزا الوضع هكذا نذر أن يدرّس كتب دورة السطوح، حتى إذا رأى الطلاب مجتهداً كبيراً ومعروفاً يدرّس دروس السطوح شاركوا في دروسه، وبالنتيجة لن يعودوا إلى ديارهم بدون علم[١].

احترام القائد

كان الحاج همّت (القائد المحترم لفرقة محمد رسول الله) يحترم قادته إحتراماً كثيراً، وكان يوصي دائماً بحفظ احترامهم، مثلاً كان الكلام عن القائد العام للفريق، كنا نناديه بالأخ محسن، لكن الحاج كان يوصينا بقول:

(١) حياة الرئيس الكابولي ص١١٢.

«قائد الحرس المحترم» «أو القيادة المحترمة السيد محسن رضائي». وكان يقول الحاج: هذا الإحترام، لا يرفعه عالياً، لكن يبين علو أرواحكم وعزة أنفسكم[1].

احترام الأستاذ لكلام أستاذ آخر

كان آية الله السيد صدر الدين الصدر رحمه الله والد السيد موسى الصدر لا نظير له في الأخلاق وبالنسبة للمراجع الآخرين كان له احترام خاص. سأنقل لكم خاطرة لأبين لكم كيف كان علماؤنا الكبار مع بعضهم البعض.

كنت أنا والمرحوم السيد صدوقي اليزدي [شهيد المحراب] أصدقاء مقربين. وكنا نذهب سوية إلى درس الخارج عند آية الله الصدر رحمه الله وبعد الدرس كنا نتباحث الساعة. وكان هناك مسألة موضع خلاف بيني وبين السيد صدوقي. ذهبنا إلى آية الله الصدر رحمه الله. فاستمع بدقة لكلامنا ومن ثم قال: الشيخ عزيز الله يتكلم جيداً، لكن كلام السيد صدوقي هو رأيي، لكن أنت من أين جئت بهذا الكلام؟

فقلت له: استفدت هذا الموضوع من السيد حجّت.

فقال آية الله الصدر: نعم، السيد حجت هو سيدنا وكلامه حق، لكن الى هذا توصل عقلي القاصر!

أنا والسيد صدوقي تعجبنا كثيراً من هذه المعاملة، كيف أن مجتهداً يقابل النظرية المخالفة له بالتواضع الشديد.

نعم، لقد كانوا مثالاً للأخلاق الإسلامية العالية[2].

---

(١) نجمة في الأرض ص٨٣.

(٢) الميراث الخالد ـ ١٤٦/١ مقابلة مع آية الله الشيخ عزيز الله الخسروي.

احترام السّادة من سلالة رسول الله ﷺ

المحدث القمي كان يكن احتراماً خاصاً بالنسبة لأهل العلم وخاصة السادة من سلالة النبي ﷺ. إذا كان هناك سيداً في المجلس لم يكن ليتقدم عليه. ولم يكن يمد رجليه اتجاههم، وبمعنى آخر، كان يقيم وزناً دون إرادة.

نقل ابن المحدث القمي عن المرحوم سلطان الواعظين الشيرازي (مؤلف كتاب ليالي بيشاور) في الأيام التي كان قد نشر كتاب مفاتيح الجنان حديثاً كنت جالساً يوماً في سرادب سامراء سألني الشيخ: مِن مَنْ هذا الكتاب؟ قلت: من المحدث القمي الشيخ عباس، فأخذ يمتدحه، وتعجب لظهوره، وفي بداية المدح قال الشيخ: إنه لا يستحق هذا القدر من المديح.

فقلت له بعصبية: أيها السيد قم واذهب!

الرجل الذي كان بجانبي وكزني بيده قليلاً وقال: تأدب! هذا الرجل هو صاحب الكتاب وهو المحدث القمي الشيخ عباس!

أدركت أني قد أخطأت مع المرحوم، وبدل أن أقبله واعتذر منه، تقدمت منه لأقبل يده، لكن المرحوم تجاوز عن خطأي وأخذ بيدي وقبلها وقال لي: أنتم من السادة[1].

احترام الطفل السيد

شخص من أقارب آية الله الميرزا جواد آقا الطهراني كان من السادة المحترمين ينقل:

---

(١) رجل التقوى والفضيلة ص٦٢ ـ ٦٤.

جئت يوماً لرؤية الميرزا جواد آقا ومعي أخي الصغير ـ والذي كان في ذاك الوقت لم يتجاوز السبع أو الثمان سنوات ـ كنت داخل الغرفة مع السيد مشغولين بالكلام، وكان السيد من وقت لآخر يقوم من مكانه ثم يجلس، كرّر هذا العمل عدة مرات وقد راقبته. فعلمت بعدها بأنه كان أخي مشاغب قليلاً وكان يخرج من الغرفة ومن ثم يعود، فكان السيد يقوم من مكانه ومن ثم يجلس ثانية وكان كلما خرج أخي من الغرفة ودخل قام السيد من مكانه وقعد احتراماً له لأنه سيد.

بعدما انتبهت للقضية، أمسكت بيده وأجلسته بجانبي كي لا يعاود القيام ولا يزعج السيد، فقال السيد بحنان: اترك الولد حراً ولا تزاحمه، واتركه حراً ليلعب[١].

احترام مجتهد لمجتهد آخر

آية الله مشكاة الأصفهاني يقول:

«على الطلاب والفضلاء أن يكون بينهم تواضع. كل العلماء الذين استفدت في حضورهم كانت إحدى خصالهم الواضحة هي التواضع. كان معروفاً أن المشكيني كاتب ومؤلف «الحاشية على الكفاية» ـ الذي كان من العلماء والفضلاء المعروفين في ذاك العصر ـ كان يقبّل يد السيد أبو الحسن الأصفهاني. وكانت عظمة آية الله المشكيني لحد أن الكثير كان يتساءل لماذا يجيز السيد أبو الحسن الأصفهاني له تقبيل يده؟!

طبعاً من الواضح أن هذا العمل من المرحوم المشكيني كان سببه تواضعه وخشوعه»[٢].

---

(١) ذكرى من قاعدة الأخلاق ص٦٧.

(٢) مجلة الحوزة ٣١/ ٥٢.

احترام رفيق السفر

يُنقل عن آية الله الميرزا جواد آقا الطهراني أنه كان يقول:

«عزمت على الذهاب إلى مشهد بالحافلة الكبيرة، وبعد أن توقف الباص للصلاة والعشاء خلال الطريق، ثم تحرك الباص مرة ثانية واكملنا سفرنا كان هناك شاب جالس بجانبي، بعد قليل نام ذلك الشاب ووضع رأسه على كتفي وغط في نوم جميل، تحملت هذا الوضع دقائق وبعدها أحسست بأنني قد تعبت لكنني تحملت ذلك وضبطت نفسي بأن لا أنام!

وكنت حريصاً بأن لا تسهو عيني حتى قليلاً؛ وأخيراً لم أنم حتى الصباح ولم تسهو عيني وذاك الشاب ـ والحمد لله ـ بقي نائماً إلى مشهد، وأنا بقيت الليل مستيقظاً وبقيت إلى الصباح محافظاً عليه كي لا يتحرك كتفي ويبقى على حاله لئلا يستيقظ جرّاء تحرك كتفي وأكون السبب بأذيته»[1].

احترام الشباب

ما بين العلماء الأتراك، كان هناك شخصين هما: الميرزا آقا صادق التبريزي، والسيد حجت، كانا خلوقين جداً. وكانا يقومان أمام الطلاب الذين يدرسون الصرف، ويؤديان لهما حق الاحترام[2].

احتراماً لطفل ذو ثمان سنوات

جاء في سيرة آية الله العظمى الميرزا الشيرازي الكبير:

«. . . ما إن كان يؤذن لأحد من أفراد عائلته بالدخول إلى غرفة الميرزا

---

(١) «ذكرى من قواعد الأخلاق» ص٣٩.

(٢) مجلة الحوزة ٤١/٧٢، نقلاً عن آية الله الميرزا عبد الله شهل ستوني.

الشيرازي كان يقف في مقابله يؤدي له الإحترام بكمال الأدب. لقد رأيته يفعل ذلك حتى مع ولده ذو الثمان أو التسع سنوات. أنا (آقا بزرك الطهراني) لقد كنت عنده عندما دخل عليه الخادم وأخذ إذن الدخول لولد الميرزا للدخول. الميرزا أجاز له الدخول فدخل ابنه وسلم، ووقف الميرزا وأجاز له بالجلوس فجلس على ركبتيه على الأرض ونظر إلى الأرض. سأله أباه عن درسه وأحواله، لم يكن يخاطبه إلا بقول «سيد» وبعد قليل من الزمن طلب إذن الخروج. فأجاز له الميرزا واحتراماً له قام من مكانه احتراماً»[1].

احترام الناس

الشيخ الفلسفي كتب عن والده آية الله التنكابني فقال:

«كان كلما دخل أحد البيت، وقف له، وكلما التقى به أحد في الطريق وسلّم عليه، كان يقف حوالي الدقيقة أو الاثنين احتراماً له، ويسأله عن أحواله، ومن ثم يتركه»[2].

احترام الحرم

العلامة الأميني كان يكن احتراماً كبيراً للمعصومين عليهم السلام. وعندما كان يدخل إلى الحرم المطهر للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كان لايذهب من أسفل رجليه إلى أعلى رأسه. بل كان يقف أمام حضرته ويبكي بكاءاً شديداً.

وقد قال لي: منذ كنت في النجف، لم أكن لأدخل إلى المقام الشريف من طرف الرأس، بل كنت أدخل من أسفل قدميه وأخرج من نفس الباب[3].

---

(١) سيرة الميرزا الشيرازي، كتابة: آقا البزرك الطهراني، ص٤٩.

(٢) «ذكريات وجهاد حجة الإسلام والمسلمين جناب السيد الفلسفي» ص٣٥.

(٣) مجلة الحوزة، العدد ٥٢، ص ٩٩ نقلاً عن آية الله جايجي.

احترام الضيف

«مجالس إطعام الشيخ رجبعلي خياط كانت تقام خاصة في أيام مبعث الرسول ﷺ وولادة الإمام علي عليه السلام وفي النصف من شعبان، الكل كان يعرف أنه سيعد الأرز والدجاج، لذا كان يأتي العارف والعامي وكانوا يجلسون على البساط القديم في بيته ويتمتعون بوليمة الشيخ. وكان دائماً يجثو على ركبتيه على البساط مستقبلاً القبلة ويأكل بتمتع. وكان يحب الضيف كثيراً، ولم يكن يقصر في ضيافته.

وكان هناك سيد جليل يأتي أحياناً لرؤية الشيخ. فيأمر الشيخ بتهيئة النرجيلة للسيد، وكان يقربها ناحية فمه ويوهمه بأنه قد دخن، ومن ثم كان يقدمها للسيد كي لا يخجل!!

تأكيد الشيخ على إطعام المؤمنين، وثباته على توسعة سفرة الإحسان في المنزل ورعاية أدب الضيوف وضيافتهم، رغم أنه كان في مضيقة مالية وكان كل رأس ماله من خياطة العباءات والدشاديش والجيب[1]».

احترام الضيف لازم

كان آية الله العظمى الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي [صاحب فتوى تحريم التنباك المعروفة] يأكل وجبة واحدة في اليوم، لكن عندما كان المرحوم الميرزا حبيب الله الرشي ضيفه، احتراماً لضيفه كان يتناول ثلاث وجبات معه وذلك خلافاً لعادته[2].

* * *

(١) مثال الإخلاص، تأليف الشيخ الري شهري، ص٤٢.
(٢) مجلة نور العلم ٤٣/٨٢.

الفصل العاشر

احترام أهل البيت والديار

احترام الخادم

يقول المرحوم آية الله الحسيني الهمداني عن آية الله العظمى النائيني رحمه الله:

«لن أنسى أنه عندما كان المرحوم آية الله النائيني يريد تناول الطعام بحضور الناس، أو عندما كان في الغرفة الخارجية يريد تناول الطعام، لم يكن ليضع يده على الطعام إلا بعد أن يأتي الشيخ مهدي، الذي كان خادماً له، لتناول الطعام، لم يكتفِ بأن يتناول الخادم طعامه لوحده، بل لم يكن ليشرع بالأكل إلا بعد أن يبدأ الشيخ مهدي بالطعام»[١].

احترام الزوجة

«آخر ليلة عندما كان الإمام الخميني قدس سره في البيت وكانوا يريدون أخذه إلى المشفى، كنت أنا والدكتور واقفين. وكانت زوجته قادمة. فعندما وصلت إلى أعلى الدرج، قال الإمام: «يا سيدة، الله يحفظك، لا تزاحمي نفسك». والظاهر أنها لم تسمع أو لم تلتفت. فأعاد عليها الكلام مرة ثانية وقال: «الله يحفظك، أنت لا تأتي». وفي المرة الثالثة وفي حال هو واضع يده على صدره قال لها بأدب زائد: «**الله يحفظك**، يا سيدة».

كان الإمام دائماً يتكلم مع زوجته بأدب وإحترام، كما كان يكلم جميع الناس بأدب واحترام»[٢].

---

(١) مجلة الحوزة، العدد ٣٠، ص٥٨.

(٢) خطوة خطوة مع الشمس ٦٦/٢. مذكرات الشيخ رحيميان.

تصرفات الفقيه البارز

جاء عن الأخلاق البارزة لآية الله العظمى الكلبايكاني رحمه الله:

«في أحد أيام أواخر شهر شعبان سنة ١٤١٠ هجري قمري كنت قد تشرفت بحضوره فأحسست أنه مريض قليلاً، فجاء أحد أقاربه وسأله عن أحواله فقال له: في الليلة الماضية، وفي منتصف الليل أردت الدخول إلى الحمام ولم يكن هناك أحد أو كانوا نائمين، لذا ذهبت بنفسي إلى الحمام ونظفت نفسي ولم يكن هناك منشفة وثياب ولم أرد أن أوقظ زوجتي، لذا لبست نفس الثياب على الجسم المبلل وخرجت أحس بقليل من الإنزعاج والمرض ـ فقد كانت أيام برد ـ لحد أنني صليت صلاتي سريعاً ونمت. ويكمل آية الله الكريمي الجهرمي فيقول: فكروا كيف أن هذا المرجع العظيم وفي سن تجاوز التسعين من عمره، لم يكن حاضراً بأن يوقظ أحداً ليساعده على الدخول إلى الحمام، وأكثر من ذلك لم يكن يرضى بأن يوقظ زوجته التي كانت قد قاربت السبعين من عمرها لتقدم له المنشفة والثياب، بل لبس نفس الثياب بذاك البدن المبلل»[1].

الإحترام العملي

زوجة سماحة الإمام الخميني تقول:

«كان الإمام حتى في أوج حالاته العصبية لم يسىء لي أو يقلل من الإحترام. بل كان دائماً يقدم لي المكان الأفضل في الغرفة. حتى لم يكن يبدأ بالطعام حتى آتي أنا، وكان يقول للأولاد: اصبروا حتى تأتي السيدة.

---

(١) «شمس سماء الفقاهة» ص١٩٦.

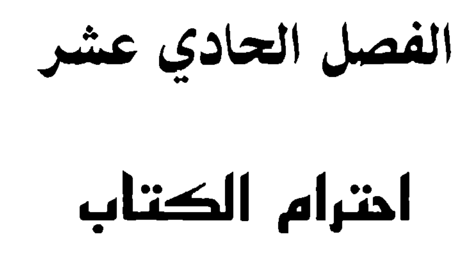
لكني لا أدّعي أنه أدار حياتي برفاهية، كلا... لقد كان طالب علم ولم يكن يريد أن يمد يده لهذا وذاك، وكما أن أبي لم يرد ذلك. كان يحب أن يقضي حياته بزهد.

لكنه كان يحافظ على احترامي دائماً، لم يكن يرضى أن أعمل في البيت. كان دائماً يقول: «لا تكنسي» وإذا أردت أن اغسل شيء على البركة في الدار كان يأتي ويقول: قومي، ليس عليك الغسيل»[1].

* * *

---

(١) خطوة خطوة مع الشمس ١/ ٥٠.



الفصل الحادي عشر

احترام الكتاب

احترام القرآن وتفسيره

يقول حجة الإسلام والمسلمين السيد غرويان:

«في أحد الأيام كان سماحة الأستاذ جوادي الآملي مشغولاً بالأذان والاقامة، وفجأة انتبه إلى وجود كتاب «الشرح القيصري على فصوص الحكم» قد وضع على «التفسير الصافي» قرب النافذة. فتقدم آية الله جوادي الآملي ورفع كتاب «تفسير الصافي» ووضعه على كتاب «شرح فصوص الحكم». هذا العمل كان درساً لكل الطلاب، وكان تنبيهاً لنكون حذرين دائماً، وحتى لو أنها تعتبر صغيرة لكن من المحتمل أن تكون هي سر توفيقهم ونجاحهم. إلهي وفقنا حتى نكون دائماً مراقبين لأنفسنا. آمين»[١].

احترام نهج البلاغة

«... عندما كان العلامة الطباطبائي رحمه الله يقرأ الأحاديث، كان يذكر أسماء الرواة واحداً واحداً ولو كان الراوي ضعيفاً؛ وكان يقول إن هذا العظيم أرسل لنا هذه الرواية، وكان يسعى لحفظ أساميهم في الحوزات مثلاً. وأنا لم أرى بين أساتذتي من يقبّل نهج البلاغة مثلما يقبّل القرآن، لكني رأيته يفعل ذلك!»[٢].

---

(١) «في مجلس العظماء» ص٨٨.

(٢) الميراث الخالد ٢/١٤٣ مقابلة مع آية الله الجوادي الآملي.

احترام الكتب الدينية والعلمية

«العظيم آية الله العظمى البروجردي كان يحترم الكتب الدينية والعلمية كثيراً؛ وكان يقول: في كل حياتي، لم أنم في غرفة فيها كتب أحاديث، حتى لو كان الكتاب يحتوي على حديث واحد فقط»[1]!

احترام كتب الحديث

جاء في سيرة العالم الزاهد الشيخ عباس القمي:

«لم يرى مرة أنه قد دوَّن حديثاً دون أن يكون على وضوء وطهارة، أو يضع يده على صفحة كتاب أو جلده من دون وضوء. وكان دائماً عند مطالعة أي كتاب يجلس متجهاً نحو القبلة جاثياً على ركبتيه!».

احترام عظماء الدين والعلم

نُقل عن سيرة آية الله الميرزا جواد آقا الطهراني: «كان مقيداً جداً أنه عند انتقاد أي شيء أن لا يقل من احترام عظماء العلم والدين، وكان يعتبر اهانتهم من الكبائر. ينقل أنه أحداً رمى كتاب وسيلة النجاة للمرحوم آية الله العظمى الأصفهاني إلى جنب على سبيل السخرية وقلة الاحترام، في تلك اللحظة سلبت منه نعمة اللسان!

وعند نقد آراء الآخرين كان يحترز عن النيل من مقامه، فلم يكن يذكر اسم الشخص. وإذا ذكره أحياناً من دون انتباه، كان أولاً يمدحه بالعظمة والإكبار ومنزلته العلمية وعلو مقامه، ومن ثم وفي النهاية كان يذكر وبكمال

---

(١) مجلة الحوزة ٤٣/ ٢٤٢.

الأدب والتواضع نقد المسألة[1]».

عظمة القرآن

«كانت إحدى صفات آية الله العظمى البروجردي البارزة احترام القرآن.

يكفي أن نتصور حاله عند قراءة القرآن. بل أحياناً عند مطالعة أي كتاب ما، كان إذا وصل إلى آية قد استشهد الكاتب بها، نراه قد تغير لحنه وتهدّج صوته حين القراءة وكأن شخصاً آخر في مشهد وعالم آخر.

أذكر في يوم جاءه أحد رؤساء الدول العربية وقدم لآية الله البروجردي قرآناً بعنون هدية. عند تقديم الهدية، ورغم كهولة سنه وحالته السيئة قام واستلم الهدية، ثم جلس، وقبل أن يتكلم مع أعضاء الهيئة، فتح القرآن وقرأ منه عدة آيات بصوت مرتفع. ومن ثم وضع القرآن في مكان مناسب، ثم بدأ باستضافة الضيوف بشكل عادي»[2].

احترام الإمام الخميني لمنزلة القرآن

«... الكل رأى كيف أن الإمام رحمه الله في إحدى المراسم للقائه في حسينية جماران وبشكل استثنائي بدل أن يجلس في مكانه المعتاد، على الكرسي - ومع أنهم كانوا قد هيئوا له الكرسي كالمعتاد - جلس على الأرض. كان ذلك عندما قرر أن يأتي الفائزون في مسابقة تلاوة القرآن وتلاوة عدة آيات في ذاك المكان»[3].

---

(١) «ميزان المطالب» ص١٧، الطبعة الرابعة.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ٤٣، ص١٢٧ مقابلة مع آية الله الشيخ لطف الله الصافي.

(٣) «في ظلال الشمس» ص١١٥.

لا تضعوا القرآن على الأرض

«أحياناً ولأسباب متعددة كنا نضع قرآنا في حقائبنا ونأتي للقاء الإمام. مرة وبدون انتباه، عندما أخرجت قرآنا مع أغراض ثانية من الحقيبة ووضعته على الأرض. كان الإمام يراقبني وقال: «**لا تضعوا القرآن على الأرض**»

وبدون انتظار رفع القرآن عن الأرض ووضعه بجانبه، بعدها انتبهنا جميعاً لأن الإمام كان جالساً على الكنبة، لا يريد أن يكون القرآن على الأرض، وبالتالي يكون القرآن في مكان أسفل من مكان جلوسه»[1].

خضوع آية الله في مقابل آيات القرآن

«سماحة آية الله العظمى محمد حسين النائيني، عندما كان يأتي للقاء أحد العلماء الربانيين والناس، أو كان يذهب إلى الخارج كان أحياناً يأتي أحد ويطلب منه استخارة، فنجلب له قرآناً، فكان يقف احتراماً واجلالاً للقرآن، ونقف أيضاً معه، ونبقى واقفين لحين انتهاءه من الأستخارة وإخراج القرآن من الغرفة. كانت هذه الحركة جميلة وعظيمة جداً. كنا نرى أنفسنا وكل شيء لا شيء في مقابل القرآن وعظمته.

كان يفعل هذه الحركة حتى عندما يكون وحيداً احتراماً وتعظيماً للقرآن[2]».

---

(١) «في ظلال الشمس» ص١١٤.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ٧٦، ص١٦ مقابلة مع نجل آية الله النائيني.

قبْلة على كتاب الأحاديث

«كان الآخوند فاضل الدربندي يحترم الكتب العلمية كثيراً الى حد أنه كان يقبّل كتاب «التهذيب» للشيخ الطوسي رحمه الله ونحوه دوماً عند حمله مثلما كان يقبّل كلام الله ويضعه على رأسه، وكان يقول: كتب الأخبار كالقرآن لها احترام!»[1].

* * *

(١) «قصص العلماء» ص١٠٩.

الفصل الثاني عشر

النظام والترتيب

النظام في القبول

«...مدرسة الشيخ حجت، لم تكن تقبل طلاباً دون العشرين من عمرهم. وبالإتفاق مع أحد أصدقائي ذهبنا الى سماحة المرحوم آية الله حجت قدس سره ليتوسط لنا فقال: يا سماحة آية الله، هذا السيد إمامي، بقي له فقط خمس أو ستة أشهر ليبلغ العشرين، إقبله.

فقال الشيخ: إنني على استعداد لدفع بدل إيجار بيت له خارج المدرسة، لكني لا أقبل أحداً دون العشرين في مدرستي! كان إنساناً جدياً، ومنضبطاً وحازماً. فعندما أصبح عمري عشرون سنة ذهبت إلى مدرسة الشيخ حجّت»[1].

النظام المدهش

يقول الدكتور محمود البروجردي ـ صهر الإمام الخميني قدس سره:

«كان الإمام الخميني خلال الأربع والعشرين ساعة يتمشى نصف ساعة. في أحد أيام الجمعة كان الهواء جيداً، وكان يتمشى في الحديقة في بيته.

أنا وعائلتي كنا جالسين على المقعد الذي كان يجلس عليه الإمام بعد الإنتهاء من المشي وعادة كانت توضع قدحان من الشاي أمامه. فسألته زوجتي هل أجلب لك الشاي؟ فنظر إلى ساعته وقال: بقي ٢٣ ثانية!

---

(١) مجلة نداء الثورة، العدد ١٢٠ ص٢٥، سنة ١٩٨٤م.

كان يهتم للوقت كثيراً حتى يستغل اللحظات بشكل عجيب»[1].

النظام في الحضور والغياب

«الشهيد آية الله المدرس في مدرسة سبهسالار، كان كلما غاب أحد الطلاب يوماً واحداً يحذف له من الشهرية شيء. وفي انتخابات الدورة الرابعة للمجلس، كان أحد الطلاب مشغولاً جداً بالدعاية للإنتخابات للمدّرس لعدة أيام، فغاب عن الدرس. وفي اليوم الذي كان يدفع فيه شهرية الطلاب، انتبه ذلك الطالب أنه حذف من شهريته أربعة أيام. فجاء لعند السيد وقال له: إن سبب غيابي أنني كنت أمارس الدعاية لك للإنتخابات. فقال له: ذاك أمر آخر. لكنك بسبب تغيبك، وطبقاً لمقررات المدرسة، يحذف من شهريتك»[2].

خمسة دقائق تأخير

«يقول آية الله طاهر الشمس: عندما كنت أدرس عند آية الله السيد أحمد الخونساري كنت أدرس لوحدي. في يوم تأخرت حوالي خمس دقائق وأتيت إلى الدرس متأخراً خمس دقائق، فوجدته قد بدأ بالدرس بمواضيع متفرقة من الدروس السابقة. فقلت له: يا شيخ! ألا تبدأ بالدرس؟ فقال لي: درسنا يبدأ رأس الساعة الحادية عشر. واليوم أنت تأخرت ولم تأتِ على الموعد، لذا عَطَلْتَ الدرس»[3].

---

(١) خطوة خطوة مع الشمس ١/ ١٦٤.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ٢٢، ص٧.

(٣) مجلة «المسجد» السنة السادسة، العدد ٣٤، ص٨٣.

نظام روح الله

«تحدث المرحوم آية الله الشاه آبادي (أستاذ الأمام في الأخلاق) عن نظمه وحضوره في جلسات الدرس: روح الله، وهو واقعاً روح الله. لم أره يوماً أنه حضر الدرس بعد قول البدء ببسم الله. كان دائماً قبل قول بسم الله حاضراً في الدرس»[1].

سبب التوفيق

يقول آية الله طيب عن أستاذه آية الله السيد محمد باقر الدرشئي:

«مسألة النظام في الأمور وتقسيم ساعات الليل والنهار، للأعمال العامة والصغيرة، كانت متداولة على لسانه. في مسألة النظام أذكر أنه خلال الإحدى عشر سنة التي كنت قد درست عنده لم يغب يوماً ولو حتى لساعة واحدة ولا لأي سبب من الأسباب، لم يكن ليوقف الدرس. ومن جهتي لم أفرط بذلك. ومن جهته، كان يقيم الدرس في وقته المحدد وبشكل منتظم. هذا النظم وانضباط الأستاذ، كان له تأثيره على الطلاب. ففي كل حياتي كنت أسعى لأن أكون منظماً كأستاذي. وبعض الرجال الطلبة في المدرسة يقولون أننا ننظم أوقاتنا على أوقات ذهابك ورجوعك... النظام هو أحد أسباب التوفيق وكمال الإنسان»[2].

درس قليل، لكن بانتظام

«من الصفات المهمة لدرس الإمام، نظامه. هو أيضاً كان مقيداً بالحضور إلى الدرس في الساعة المحددة، وكان يأمل ذلك أيضاً من طلابه.

---

(١) خطوة خطوة مع الشمس ٣/ ٣١٢.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ٣٣، ص٣٥.

أحياناً عندما كان يأتي أحد الطلاب في وسط الدرس، كان يتضايق ويقول: الإنسان يدرس درس واحد في اليوم، لكن يدرسه بشكل جيد ويقيد نفسه بالحضور إلى الدرس من أوله»[١].

اللقاءات وقت الدرس ممنوعة

يقول الأستاذ الشهيد مطهري عن آية الله العظمى البروجردي:

«في السنوات التي أقمتها في قم لتحصيل العلم، جاء أحد الخطباء المعروفين إلى قم وبالصدفة اختار غرفتي لرؤيتها.

وفي هذه الأيام، أحد الأشخاص، كان قد أخذه إلى بيت آية الله البروجردي في وقت غير مناسب كان وقت دراسة آية الله البروجردي، لأنه كان بعد ساعة عليه إلقاء درس. وكان ضمن خططه أن لا يزوره أحد في وقت مطالعته، ولم يكن يرضى بزيارة أحد في هذا الوقت.

طرقوا الباب وقالوا للخادم: قل لسيدك أن فلاناً جاء للقاءك.

الخادم، أوصل الخبر ورجع وقال يقول السيد: عندي الآن درس، شرفونا في وقت آخر. فرجع ذاك الشخص وفي ذات اليوم إلى بلده.

في ذاك اليوم عندما جاء آية الله البروجردي إلى الدرس، رآني في صحن الحرم وقال: «سآتي بعد الدرس لرؤية ذلك الشخص عندك في الحجرة». فقلت له: لقد ذهب. فقال: «اذن قل له عندما تراه إن حالتي عندما جئت لعندي كانت كحالتك عندما تريد استجماع أفكارك لإلقاء كلمة. كنت أحب أن التقي بك وكل حواسي معي واستطيع التحدث معك في حين أن ذلك الوقت كان عندي درس وكنت أريد الذهاب لإلقاء الدرس»... ذاك

---

(١) مجلة الحوزة، العدد ٤٥، ص٥٠ مقابلة مع آية الله التوسلي.

الخطيب المعروف بعدها قال: في ذاك الوقت فرحت كثيراً لأنه كان في كمال الصراحة وعدم الخجل لم يقبل زيارتي. وما أحلاه أن يكون مرجع المسلمين بهذا المقدار من الصراحة»[1].

الأستاذ المنظّم

يكتب الدكتور الخوانساري عن العلامة فاضل التوني:

«من جملة مكارم أخلاقه، احترام الواجب والوقت. كان دائماً يحضر إلى موعده في الوقت المحدد. لا أحد يذكر أن المرحوم الفاضل في زمان حياته المتمادية، حتى ليوم واحد يأتي إلى الدرس متأخراً. كان يقرأ أوراق الطلاب بكمال الدقة والأخلاق من الأول إلى الآخر وحتى لو كانت الورقة بخط لا يقرأ أو بشع كان يقول للشخص الذي يعتمد عليه أن يقرأها له ليضع له علامة كاملة رعاية للعدل والدقة»[2].

* * *

(١) «الحكايات والهدايات» ص١٠٢، مسألة الحجاب ص١١٧.

(٢) «تعليق على الفصوص» مقدمة الخوانساري ص١٢.



الفصل الثالث عشر

الحضور الدائم في الدرس

حب التعلم

يقول المرحوم آية الله العظمى السيد عبد الله الشيرازي: «لمدة ثمانية عشر سنة مداومة درست عند المرحوم ضياء العراقي، وطوال هذه الثمان عشر سنة لم تفوتني جلسة درس واحدة!! في أحد الأيام بحثت كثيراً مع أستاذي المرحوم العراقي ـ وكان معروفاً بسرعة غضبه وخشونته بالدرس، ولشدة غضبه في ذلك الوقت أخذ سجدة بجانبه على المنبر ورماها على رأسي ومنذ ذاك الوقت قررت أن لا أدرس عنده وخرجت من الدرس، وكل الطلاب تأثروا من ذلك الموقف. وعندما جاء وقت الغروب ومن دون انتباه راودني تفكير أنه هل من الممكن أن يفوتني الدرس! كما لم تسمح لي نفسي بذلك لم تسمح لي بعدم الحضور في الدرس، وخسارة جلسة درس كانت صعبة جداً علي. لذا قررت أن احضر في الدرس بدون أن يحس علي أحد. ولهذا استفدت من ظلمة الليل ووضعت عباءتي على رأسي ودخلت المسجد وجلست قرب باب رواق المسجد المسقوف وبعد الدرس مباشرة تركت قاعة الدرس. في تلك الليلة، انتبه الأستاذ لعدم حضوري في الدرس، لذا في اليوم التالي وفي أول الصباح جاء إلى منزلنا واعتذر حتى أخرج الضغينة من قلبي»[١].

عطلّت درس يوم واحد فقط

كتب الأستاذ محمد رضا الحكيمي ـ صاحب كتاب الحياة ـ:

---

(١) مجلة نداء الثورة سنة ١٩٨٤م، العدد ١٣٠، ص١٢.

«. . . الأديب الثاني كان في كثير من الأحيان عندما تعطل الحوزة الدرس، لم يكن يعطل الدرس. وكان يدرس حتى فترة الصيف. في هذا الفصل، كان يلقي دروس العصر بعد الظهر، وكان يبدأها في وقت مبكر غير العادة، ويأتي في ذلك الهواء الحار ومع كل العناء وكثرة العرق، كان يأتي ليستفيد طلابه. . . وكنت فترة دراستي عنده لم أغب إلا يوم واحد، يوم الأربعين يوم أخذت كتبي ودفاتري، ووصلت إلى قرب الدرس، وهناك رأيت احد رفاقي فقال لي: اليوم عطلة. ولأنه كان يوم الأربعين قلت من المفروض أنه يقول الصدق، رجعت. فيما بعد تبين لي أن الدرس لم يكن معطلاً ولأنني لم أحضر في الدرس فما إن دخلت للدرس في اليوم التالي قال لي: ما كنت أتوقع منك ذلك!»[1]

حال المريض، والشوق الكثير

آية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبايكاني رحمه الله في يوم ١٦ ذي القعدة سنة ١٤٠٢ هجري قمري أقام مجلس الدرس في منزله بسبب مرضه وقال:

«في فترة دراستي في المدرسة الفيضية أصبت بمرض. وكان أستاذي المرحوم آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله، يأتي في الليل لإعطاء الدرس في المدرسة، لكني في تلك الليلة بسبب شدة مرضي وشدة الحرارة في جسمي لم أكن استطع الحركة فقلت لأصدقائي: خذوني إلى وراء المنبر باللحاف ومددوني هناك حتى لا أحرم من فيض درسه!»[2]

(١) سيرة الأديب النيسابوري ص١٦، ١٧.
(٢) شمس سماء الفقاهة والمرجعية ص٤٥.

قيمة العلم

منذ الأيام الأولى لدرس الحكمة للمرحوم جهانكير خان القشقائي كان فاضل التوني يحضره، حضر فيه وعشقه وتعلق بذلك الأستاذ العارف.

وكان المرحوم القشقاني يدرّس دورة المنظومة للحكيم السبزواري في ست سنوات، وكان القسم الأعظم من مواضيع «الشفاء» و«الأسفار» تذكر فيه.

والمرحوم الفاضل مع بدء الدورة الثالثة من تدريس المنظومة التحق بدرسه وطوال مدة الست سنوات لم يعطل أي يوم من درس ذاك الفقيه العالم إلا عند مرضه. في يوم البدء، كان هناك حوالي مائة وعشرون طالباً في الدرس، لكن تدريجياً ومع بداية الصعوبات في الدرس، كان عدد الطلاب يقل شيئاً فشيئاً، بعضهم كان يذهب في مبحث الوجود الذهني والعدد الآخر في مبحث العاقل والمعقول. . . .»[1].



(١) «تعليقة على الفصوص» مقدمة الخوانساري ص٤.

الفصل الرابع عشر

الاستفادة من الوقت والفرص

كل يوم أفضل من السابق

يقول آية الله بهاء الديني رحمه الله:

«ما إن كنت أسافر عشرة أيام أو أكثر لبلد ما، كنت انتهز الفرصة، فأضع مباحثات وناقاشات. وكنت انتبه لعدم إتلاف وقت من الأوقات. تسليتي أيام دراستي أني كنت أغير الجو.

وعندما كان يتحدث عن زمان طلب العلم كان يقول: «نحن عند ذهابنا من مدرسة الفيضية إلى البيت كنا نختار الطرق الأكثر هدوءاً، لنستطيع التفكر في الدروس والمباحث. وكنا نعبر أزقة البساتين لنصل إلى الفيضية، وفي الطريق كنا نفكر بالمطالب. لذا حتى هذا الوقت كنا نمضيه بالمطالعة والتفكر»[1].

الاهتمام بالوقت

يقول آية الله السيد مرتضى النجومي:

«من خصوصيات أخلاقي في الاهتمام بالوقت والمحافظة عليه. نادرة الأوقات التي كانت تمضي بدون مطالعة أو قراءة وكتابة. وهذا الأمر كان سبباً لعدة أمور بالنسبة إليّ؛ أحدها هي أني لم أعطل أي من دروس السطوح والخارج دون سبب، ثم أني كنت اطالع دائماً المجلات العلمية والتحقيقية وكل ما هو مناسب للقراءة، وحتى كثير من الأشياء الفنية تعلمتها ضمن قراءتي الكتب والمجلات المختلفة. وكان وقت فراغي بعد المطالعة ولرفع التعب هو التمرن على الخط»[2].

---

(١) «آية البصيرة» ص١٠٩.

(٢) «الميراث الخالد» ٢/١٨.

المطالعة في طريق المدرسة

يقول آية الله عبد الجواد الجبل عاملي عن أستاذه الهمائي رحمه الله:

«... تجتمع في المرحوم جلال الدين الهمائي عدة صفات حسنة. عدا تقواه ومناعة طبعه، كانت عنده همّة عجيبة، ومن صفاته الحسنة الاهتمام بالوقت وكثرة حرصه بالنسبة لمرور الوقت. لم يكن ليترك لحظة تفوته من دون فائدة. كان أحياناً يحمل كتاباً كبيراً وثقيلاً ويحفظه في الطريق أو يطالعه. لهذا السبب طوال دراسة الهمائي في مدرسة أخذ أكثر علومه العادية في ذاك الزمان»[1].

التأليف في السفر

يكتب العلامة القزويني في شرح حال أبو علي ابن سينا:

«الشيخ أبو علي سينا بسبب اشتغاله في مناصب حكومية، كانت فرصة التأليف لديه قليلة وأكثر كتبه كان قد كتبها ما بين الطلوعين أو في أوقات الحبس أو في عرض الطريق في السفر... وكانت من عادات الشيخ أن لا يحتفظ بنسخة لنفسه، بل كان يعطي النسخ الأصلية للشخص الذي بسببه ألّف الكتاب»[2].

كتابة تفسير القرآن في جبهة الحرب

يقول آية الله العظمى محمد علي الأراكي عن التفسير القيّم «القرآن والعقل» والأستفادة من الأوقات في أوقات الفراغ:

---

(١) مجلة الحوزة، ١٥/٢٧.

(٢) «مقالات القزويني» ٥/١٣٧٨ طبع أساطير.

«كان السيد نور الدين من أهل الكشف والكرامات؛ لأنه كان أهل حقيقة كثيراً. وكفى به كرامة أنه كان في جبهة الحرب تحت مظلة المدافع التي كانت تصم الآذان والنار تمطر من السماء، وفي كل حين كان يحتمل أن تقع في صدر الإنسان، أخذ قلماً وورقاً وألف تفسير قرآن... وكأنه جالس في غرفة هادئة لوحده ولا أحد يزعجه بشيء، هو كان وهو؛ أخذ وألف تفسيراً؛ وكفى به كرامة ـ والمؤسف أن هذا التفسير لم يُكمل، وصل إلى الجزء ٢١... كان عنده فقط كتاب واحد هو كتاب المعالم وكان يدرسه لنجله؛ اين «المعالم» وأين التفسير؟! ليس هناك ربط بين هذين الكتابين»[(١)].

الاستفادة من الوقت في السجن

سماحة الشيخ الهاشمي الرفسنجاني في الفترة التي كان فيها سجيناً، استفاد من الفرصة وألف تفسيراً قيماً سمّاه «المرشد» وقد طبع فيما بعد بمساعدة جمع من فضلاء الحوزة العلمية في قم. يقول الشيخ قرائتي:

«... في السجن كان لديه قرآن فقط، ورغم المشاكل الكثيرة والتعذيب والنفي، وفي ذاك الجو، كتب الشيخ رفسنجاني آية واحدة وصفحة واحدة تعادل كل تفسيري في الـ ١٢ مجلد. ويقول هناك فرق بين صلاة الإمام الحسين عليه السلام في ظهر يوم عاشوراء في مقابل الرماح والسيوف وبين صلاة الليل قرب صنبور الماء الدافىء»[(٢)].

قيمة الدقائق

يقول الأستاذ جلال الدين الهمائي:

---

(١) مجلة الحوزة، العدد ١٢، ٢٦، ٢٧.

(٢) فصلية «البينات» العدد ص١١٦.

«أستطيع القول أنه ولا حتى دقيقة من أوقاتي لم تهدر في غير الدروس وتحصيل العلم، ولم أكن أقضي وقتي في عمل آخر.

في أول الصباح كنت أمشي على الريق أو بعد تناول الخبز والجبن أو لا آكل شيئاً، كنت أخرج من البيت في محلة القلعة إلى المدرسة القدسية في محلة طريق الإمام. وكنت أعود عصراً أيضاً مشياً على الأقدام إلى المنزل. بدون انتظار كنت أسارع إلى إنهاء تكاليفي المدرسية، وما أن أنتهي من ذاك العمل حتى أهيىء نفسي لدرس أبي وكان يبدأ به بعد صلاة المغرب والعشاء ويستمر إلى أواسط الليل. علي القول أن أصعب أعمالي هي ذاك الدرس الذي كان يعطيني إياه أبي. لأنه كان في مسائل التعليم والتربية، كان صعب وكان لا يتسامح به. وفي بعض الأحيان بعد الفراغ من درس والدي كنت أخرج من الغرفة، وعندما أصل إلى شرفة المنزل كنت أقع من الدرج إلى الأسفل من كثرة التعب والنعاس. فتخرج أمي من الغرفة المجاورة وتأخذني إلى غرفتي»[١].

الواجب في اللحظات الصعبة من الحياة

يقول آية الله السبحاني:

«صحيح أن بعض الرجال لهم جَلَد عظيم وروحهم كالبحر لا تهدأ، والحرارة والعشق وحب العمل والهدف تقودهم إلى العمل والحركة، حتى في أصعب لحظات الحياة لا يتركون السعي والعمل.

فالمؤرخ الكبير الإسلامي «ابن خلدون» كتب عمله العظيم «مقدمة التاريخ» في المنفى.

وفيلسوف الشرق، العلامة نصير الدين الطوسي كان لمدة طويلة معتقلاً

---

(١) يوميات الهمائي ص١٢.

من قبل الفرقة الإسماعيلية في قلعة «الموت» فكتب كتابه ذو القيمة العالية «شرح الإشارات» في ذاك الحبس.

وعالمنا الكبير، المرحوم «الشهيد الأول» كتب كتابة القيم الذي كتب على متنه القوانين الإسلامية «اللمعة الدمشقية» في سجن دمشق...»[١]

تفسير العشق

يقول المرحوم آية الله السيد أحمد الزنجاني عن آية الله العظمى الشيخ أبو القسم القمي:

«كان المرحوم الشيخ أبو القاسم من أجلّة علماء قم. وكان مورد قبول عامة الناس، الخواص والعوام، الكل كان يصدقه. كان مشغولاً دائماً بالتدريس أو المطالعة، أو كان يفكر في المطالب العلمية، إذا التقى بأحد كان يشتغل بالمذاكرة والمباحثة العلمية، وغالباً ما كنا نرى كتاباً تحت إبطه؛ وكان إذا التقى بجماعة وكان المجلس يقتضي المذاكرة العلمية، سريعاً ما كان يفتحه ويطرح مسألة لتبادل الأفكار فيها ويخرج الكتاب ويبدأ بالمطالعة، حتى أيام الأربعاء كان يعقد في بيته مجلس ذكر المصائب وعندما ينشغل الضيوف بشرب الشاي، كان يجلس في زاوية يدرس و ينشغل بإفادة الناس بالعلم»[٢].

* * *

(١) رمز انتصار الرجال الكبار ص٢٥، ٢٦.

(٢) «الكلام يجر الكلام» ٢/ ١٣٠.

الفصل الخامس عشر

الاستفادة من العطل

تقوية الفراسة في وقت الفراغ

يقول الأستاذ جلال الدين الهمائي:

«استطيع القول أن في العشرين عاماً من طلب العلم والتدريس، لم تمضي أي ساعة بلا فائدة. حتى أيام العطلة كنت أدرس دروس العطلة. من جملة تلك الدروس درس الإلهيآت والرياضيات الجديد والاسطرلاب واستخراج التقويم الذي كنت قد درسته عند المرحوم (جناب). وكنت أدرس منطق الشفاء أبو علي سينا أيام العطلة بعد الظهر. وفي ساعات الفراغ كنت اطالع دواوين الشعر العربية والفارسية واحفظ منها المختارات»[1].

الإرادة الفولاذية

قال الشهيد العظيم آية الله القدوسي:

«... كنت أدرس بمشقة وتعب، وأكمل دراستي مقابل تنازلي عن الطعام والنوم لأستطيع الاكثار من الدرس. وفي كثير من الليالي كنت لا أستطيع القيام لإعداد الطعام من شدة التعب لكثرة الدراسة، وكنت أغفو في تلك الحالة. ما عدا القليل من أيام السنة كنت أقضيها بكاملها في الدرس والمباحثة وحتى أيام محرم غير أيام التاسع والعاشر منه، كنت أقضي كامل وقتي في الدراسة»[2].

---

(١) يوميات الهمائي ص٢٦.

(٢) سيرة الشهيد آية الله قدوسي ص٢٤.

الثلج الغزير والكلام العذب

يقول العارف الفاضل آية الله حسن زاده آملي ـ والذي حاز بحق إسم بهائي العصر:

«عندما كنت عند العلامة الشعراني لم يكن لدينا عطلة خلال السنة. أنا لا أنسى أنه طوال السنة عطلنا الدرس ليومين فقط الأول يوم العاشر من محرم والثاني يوم شهادة الإمام حسن المجتبى عليه السلام ودرسنا باقي أيام السنة كلها. تلك كانت إرادته. إحدى الذكريات التي اذكرها عنه كانت جميلة، أنه في الشتاء عندما هطل الثلج بشكل كثير جداً، خرجت من الحجرة الى مدرسة مروي.

وبتوصية من جناب السيد الشعراني ذهبت إلى الميرزا محمد باقر الآشتياني، امتحنتنا مدرسة مروي وقبلونا. واعطونا حجرة في المدرسة. فصرت أذهب من مدرسة مروي إلى درس السادة. وفي الشتاء هطل كثير من الثلج فخرجت من حجرتي ونظرت إلى الثلج وكنت متردداً بين الذهاب إلى المدرسة وعدم الذهاب. فإن لم أذهب كان ذاك دليلاً على كسلي وعدم عشقي وشوقي للدراسة. قررت الذهاب. ذهبت إلى باب بيته عند تقاطع شارع سيروس، أردت طرق الباب، مع ذاك الثلج الكثير الذي كان قد نزل استحيت من طرق الباب. وقفت مدة ولكن لم يخرج أحداً، ورأيت أن وقت الدرس يمضي شيئاً فشيئاً. فطرقت الباب ففتح لي ولده، دخلت فرأيته مشغولاً بالكتابة. دخلت بانفعال، وسلمت عليه، وما أن جلست اعتذرت.

فقلت: يا سيد، في هذا الثلج زاحمتكم، أردت أن لا آتي.

فقال: لماذا؟

قلت: لم أرد مزاحمتكم في هذا الثلج.

فقال: عندما كنت تأتي إلى المدرسة ألم ترى المتسولين جالسين في الطريق ويتسولون؟

فقلت: نعم.

فقال: اليوم هل كانوا أم لا؟ فقلت: نعم كانوا، اليوم هو يوم عملهم وكسب المال عندهم.

فقال: إذا لم يعطلوا هم فلما نعطل نحن[١]؟

* * *

(١) مجلة كيهان الثقافية، العدد ٥ ص٥، سنة ١٩٨٤م.

الفصل السادس عشر

سؤال الأستاذ

حفظ المسافة

الإمام الخميني كان يعتقد بأن الطالب عليه أن يُشْكل في الدرس، وعندما لا يشكل أحد كان يقول: أهو مجلس عزاء حتى الكل ساكت! وإذا اشكل ذات الاشكال مرتين أو ثلاثة كان يوقفنا ويقول: هل هو مجلس عزاء حتى أنت تقول وأنا أجيب. كان الإمام الخميني يقول في هذا الباب أنه: كان درس المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري كان يعاني من ذات الاشكال، كان أحياناً يذكر مطلباً ما، فيشكل الطلاب وهو يجيب، وكان ذكر ذاك الاشكال يطول أحياناً لحد أنه في بعض الأحيان كانت ينتهي وقت الدرس ويبقى مطلب الشيخ بلا نهاية[١].

الظن الحسن بالأستاذ

يقول العلامة الشعراني في وصيته:

«على طالب العلم أن يظن بأستاذه حُسناً. وهذا سر النجاح ووسيلة المراد والانتصار. وسوء الظن بهم، تنتج عنه الشقاء وسوء الحظ، وفي بعض الأحيان تجرّه إلى الكفر والضلال والجهل المركب.

لذا علينا الاستماع إلى كلامهم بعناية وتدبر، لأن الله تعالى جعل لكل شيء سبباً، وعلى طالبه أن يبحث عنه، ومن وسائل التعليم الأستاذ، ولا تحصل العناية بالأستاذ إلا بحسن الظن. هذه القاعدة جارية في كل العلوم

---

(١) مجلة الحوزة، ٥٥/ ٥٤ نقلاً عن آية الله مرتضوي اللنكرودي.

الشرعية والعقلية والصناعات. فلو لم يكن أبو علي سينا يحسن الظن بأرسطو والفارابي، لما استطاع فهم كتبهم وبلوغ ذلك المقام العالي والشامخ في الفلسفة.. طبعاً مقصودنا ليس أن الكبار معصومون عن الأخطاء، لكن مقصودنا هو أنه ليس من الجائز في أول لقاء أن نبدأ سريعاً بتخطئتهم»[1].

الإشكال على رأي الأستاذ

يقول المرحوم آية الله الشيخ حسن الصافي الأصفهاني:

«من الضروري احترام الأستاذ؛ لكن علينا أن لا نمنع النقد والبحث. ليس من اللازم علينا أن ننظر دائماً إلى كلام الأستاذ على أنه وحي إلهي، حتى لو كان مقامه العلمي عالٍ جداً، علينا أن لا نستوحش من أن نطلب من الأستاذ دليلاً على كلامه أو ابراز أي رأي مخالف له[2]».

طريقة طرح الاشكال

من الإمتيازات العلمية لآية الله السيد محمد رضا الكلبايكاني أنه كان باحثاً. كان يُشْكِل وينتقد في دروس أساتذته وخاصة في درس أستاذه الأعظم المرحوم آية الله المؤسس الحائري... وفي ٢٦ جمادي ٢/ ١٤٠٤هـ.ق. أثناء الدرس كان السيد الكلبايكاني يريد تذكيرنا بكيفية الاشكال قال: نفسي أنا عندما كنت في الحوزة في درس أستاذنا الشيخ عبد الكريم كنت أتكلم وأطرح الإشكالات، لكنه كنت أولاً أذكر الاشكال في نفسي، فإذا وجدت له جواباً كنت أسكت، وإن لم أجد له حلاً كنت أطرح إشكالي[3].

---

(١) «في سماء المعرفة» ص١٤١.
(٢) مجلة الحوزة ٦٥/ ٣٩ مقابلة مع آية الله الصافي الأصفهاني.
(٣) شمس سماء الفقاهة ص٤٦ و٤٧.

لكن للأسف أن هذا الموضوع لا يراعى أبداً، وفي كثير من الأحيان يذهب وقت الدرس فقط على إشكال بسيط وغير مهم، وفي كثير من الأحيان لا ينتظرون الأستاذ لإكمال كلامه، ويسارعون إلى طرح إشكال فيكون في أكثر الأحيان جواب الأستاذ أن إذهب وطالع وأبحث في الكتب فإن لم تجد شيئاً آنذاك تعال، وستأخذ الجواب.

الاحتراز من الشهرة

يقول آية الله مرتضى الحائري: «كان سماحة آية الله العظمى بهجت ـ دام ظله ـ في درس آية الله العظمى البروجردي، يظهر أراءه الدقيقة والاشكالات المهمة بحيث كان يبهر الأستاذ وفي كثير من الأحيان كان يخرج الدرس من حالته، و كان الرد عليها يفيدنا نحن أيضاً. ومرة غاب سماحة آية الله العظمى بهجت عدة أيام عن الدرس. فسأل عنه آية الله العظمى البروجردي. ولم يعرف أحد أين هو، وبعد عدة أيام عندما جاء بقي عدة أيام يشارك في الدرس لكنه كان ساكتاً في الدرس ولا يسأل ولا يجيب.

فطلبنا منه أن يداوم على أسئلته وأجوبته التي كان يلقيها على الأستاذ فلم يوافق. فظننا أنه قد هدد من أحد أصحابنا، لكن رأينا أنه قد ترك هذا الأمر خوفاً من الشهرة، لأنهم كانوا يرونهما في الحوزة ندين بعضهما لبعض. . .»[(١)].

أحسن طرق التعلم

العلامة سردار الكابلي قال لنا عدة مرات: (هكذا يجب أن تتعلموا من الأستاذ المواضيع الصعبة في الكتاب) أحسن طرق التعلم والتعليم، لأنه في

(١) «معرفة مع نجوم الهداية» ١/ ٤١.

كثير من الأحيان يتعلم التلميذ في البداية كيفية استعمال الفكرة وفهم المواضيع الدقيقة والصعبة في الكتاب، (وفي كثير من الأحيان يحلها) وإذا لم يفهمها فيساعده الأستاذ على فهمها، ولأنه قد ركز على الموضوع في الأول وعنده معلومات عنه فسيفهم الشرح أكثر وترتكز المعلومات في ذهنه. وكان يقول أيضاً أن هذه الطريقة في التعلم، كانت تستعمل بين القدماء ولم يكونوا ليضيعوا الوقت»[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) «حياة سردار الكابلي» ص٨٣.

الفصل السابع عشر

التدريس خلال الدراسة

التدريس مع الصبر

يقول آية الله العظمى فاضل اللنكراني:

«. . . درسنا في المكاسب كان ذو طابع عام وعجيب، فبعد الانتهاء من درس المرحوم السيد البروجردي ـ الذي كان يعقد إحدى أروقة المسجد ـ كنت أقوم بعده مباشرة وأبدأ بتدريس المكاسب على المنبر، وكانت تقام في الحوزة خمس دورات من المكاسب وذلك لمدة حوالي خمسة عشر سنة. وكانت كل دورة تزيد على التي قبلها، وأفرادها كانوا ممتازون أكثر. بعد ذلك، جاء وقت كتاب الكفاية. وكتاب الكفاية آخر كتاب السطح العالي، وبحسب ما يقوله الطلاب إنه أصعب كتب السطوح، جاء دور كتاب الكفاية ودرسته ست دورات كاملة. في آخر دورة درستها وصل عدد الطلاب بنظري حوالي ٦٠٠ ـ ٧٠٠ شخص. . . والآن وبعد مرور ١٣ عاماً (طبعاً ذاك بإستثناء الثلاث سنوات التي قضيتها في المنفى) تلك الثلاث عشر سنة قبل النفي وبعده درست في الحوزة درس الخارج وما زلت»[١].

التدريس ثمرة القراءة

يقول آية الله الشيخ حسن زاده آملي:

دوماً كان الدرس والبحث ميّسراً، ومنذ كنت في (آمل) كنت ارتقي بالدرس، ولأنه كنت أقرأ بشكل جيد، وندرس الكتب الأدبية، مثلاً عندما

(١) مجلة نداء الثورة، العدد ٩٠، ص٢٥، سنة ١٩٨٣م.

كنت أدرس (المطول) كنت أَدَرِّس (السيوطي) و(شرح النظام) مثلاً درَّست المطول ستة دورات، والحاشية عدة دورات، ومنطق المنظومة وشرح التجريد وغيرها. . .»[1].

تفتح النبوغ في ظل التدريس

يقول آية الله الحسيني الهمداني، صاحب تفسير (الأنوار الساطعة) :

«. . . علينا أن لا نستخف بالتدريس واعتباره أمراً سهلاً هذه إحدى الامتيازات في الحوزة العلمية على النظم التعليمية الأخرى، إن الطالب كلما تعلم شيء يستطيع تعليمه. التدريس يفتح ذهن الإنسان. . . قلت لآية الله الخوئي ـ سلّمه الله. . . ـ : مع أنك تظهر المحبة العلمية تجاه آية الله الشيخ محمد حسين الكمباني لكنك لا تشارك في درسه الذي يقام بعد الظهر فقال لي: حسب تجربتي أنه كل ما تعلم الإنسان شيئاً عليه أن يعلمه، لأنه بالتعليم يحصل للإنسان النبوغ وهو أمر مفيد جداً. كما إني أعرف الشيخ محمد حسين الكمباني، إنه لا يفكر بأي شيء إلا بكتبه. وأنا أدرِّس بعد الظهر، وبعدها آخذ كتاباته واستفيد منها؛ لأنه لا استطيع أن أشارك في درسه وأدرِّس في ذات الوقت، وحالياً التدريس أكثر فائدة لي»[2].

التدريس البناء

يقول الأستاذ البارز في حوزة قم العلمية سماحة آية الله ستوده:

«. . . منذ مجيئي إلى قم، انشغلت بدراسة العلم ودرّست الأخوة خمسة دورات من «معالم الأصول» و«القوانين» وثلاث دورات «شرح اللمعة»

(١) مجلة الحوزة، العدد ٢١، ص٢٦ سنة ١٩٨٧م.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ٣٠، ص٥٤ مقابلة مع آية الله الهمداني.

وسبع دورات «كفاية» وسبع دورات «المكاسب» [هذا التقرير كان إلى سنة ١٩٨٥م][1].

دَرَّسَ كتاب واحداً سبعين مرة

نقل عن الميرزا محمد الشيرواني تلميذ السيد حسين الخوانساري أنه قال:

«درّست كتاب «شرح الجامي» سبعين مرة، في كل مرة عرفت أشياء وفهمتها لم أكن قد فهمتها من قبل!»[2]

التدريس عن الكتاب

«التدريس عن الكتاب لا يقلل من المقامات العلمية للعالم، وكم من العلماء الكبار ـ رغم المقامات العالية والشامخة في العلم ـ درَّسوا كتباً تعد الآن من كتب المقدمات، وقد درس الشيخ الأجل بهاء الدين العاملي كتاب «ألفيه ابن مالك» و«الصمدية» وكتب من هذا النوع. ورغم أنه كان من خلاصة المجتهدين وأفضل المحققين والبعض كتب أن الملا ميرزا الشيرواني كان من علماء أواخر عصر الصفوية، وكان متخصصاً في كتاب «شرح الجامي» وكان قد درَّسه عشرون مرة»[3].

* * *

(١) مجلة الحوزة، العدد ٩، ص٦١.

(٢) تذكرة العلماء ص١٤٣.

(٣) حياة السردار الكابلي ص١١٣ و١١٤.



الفصل الثامن عشر

تدوين النقاط المهمة من
المطالب العلمية والفكرية

مذكرات في منتصف الليل

يقول آية الله العظمى الميرزا هاشم الآملي رحمه الله:

«كانت علاقتي مع المرحوم ضياء العراقي أكثر من علاقة أستاذ مع تلميذه. في كثير من الأحيان كنت أرافقه بعد الدرس وأصحح إشكالاتي. حتى إني في بعض الليالي كنت أنام في بيت المرحوم ضياء. وفي ليلة من الليالي، أيقظني في منتصف الليل من النوم وقال لي: خطر ببالي فكرة سجلها»[١].

قيمة الكتابة

«من جملة توفيقات المرحوم آية الله الكمباني أنه كان كلما درّس شيئاً سجّله وكان بذلك يخلّد معلوماته في الكتب. وتلك من كبائر النعم أن يكون أهل العلم ذوو قلم، ولا يدفنوا المعلومات في صدورهم فتختفي بعدهم ويأخذونها معهم... كان المرحوم السيد محمد حجّت أيضاً قد وصى أحد الأشخاص بأخذ كتابات المرحوم آية الله كمباني وتصحيحها، فكان يأخذ كتاباته منّي ويدوّنها. وكان المرحوم السيد محمد حجّت من قدامى تلامذة المرحوم آية الله الكمباني»[٢].

---

(١) مجلة نور العلم، العدد ٥٣، ص١٩٨.

(٢) مجلة الحوزة العدد ٣٠ ص٣٧ مقابلة مع آية الله الحسيني الهمداني.

الكتابة خزانة الذهن

يقول آية الله العظمى الأراكي:

«كنت أنا ملتزماً بكتابة كل ما أسمعه. وفي أحد الأيام قال لي المرحوم السيد أحمد الخوانساري: اسعَ لتكون من أهل الفكر، فكتابة هذا وذاك ليس من المفيد جداً. بعد سماع كلماته قللت من كتاباتي قليلاً، وفي أحد الأيام ذكرت هذا الشيء لأستاذي الشيخ عبد الكريم الحائري، فقال لي: الكتابة جيدة لإنشراح الصدر وتفتيح الذهن. أنا في بعض الأحيان ليس لدي تسلسل فكري فأكتب العناوين فقط ثم أكمل الموضوع «إن قُلْتَ» واترك جوابه لوقت آخر».

وقد رأيت عنده بعض الأوراق الممزقة المكتوبة عليها «إن قُلْتَ» وقد بقي بدون كتابة «قُلْتُ» [جواب المطلب][١].

الانتباه فجأة للأمور

نقل آية الله السيد أحمد الخوانساري عن المرحوم الكمباني أنه قال:

«كنت مواظباً على الأفكار والمطالب العلمية التي تخطر ببالي؛ لحد أنني كنت أحياناً مستلقياً في سريري، وقد خطر ببالي فكرة ما، فأجلس في مكاني وأُدَوِّنها». ثم أضاف: «كل من يتصيد المطالب العلمية ويقيدها بالشكل ذاك سيصل إلى العلم الذي وصله هو»[٢].

* * *

(١) سيرة آية الله الأراكي ص٥٨١.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ٢٣، ص٣٩.



اختيار الطريقة الصحيحة
للتعلم والمطالعة قبل الدرس

مفتاح الطريق المطالعة المسبقة

يقول العلامة الطباطبائي في خصوص فقرة دراسته:

«... دائماً كنت اطالع درس الغد قبل دراسته، وإذا ظهر لي أي إشكال كنت أحلّه بكل صعوبة، وعندما كنت آتي إلى الدرس كنت مطلعاً عما يقوله الأستاذ من قبل، ولم أكن لأذكر اشكالاتي والاخطاء أمام الأستاذ!»[1].

المطالعة المسبقة والتقدم

يقول آية الله الميرزا أحمد الفيّاض عن الشهيد الدكتور بهشتي:

«قبل أن اتشرف إلى النجف الأشرف، كان المرحوم بهشتي يدرس عندي السيوطي. وبعد عودتي من النجف، درس شرح اللمعة. كان شخصاً ذو استعداد عالٍ، ولم يكن من اللازم علي أن أشرح له كثيراً، بل كان يطالع الدرس وما إن كنت اشرح الدرس حتى كان يفهم كل شيء، وفي الوقت الذي كان يدرس عندي كتاب شرح اللمعة، كان هو يدرّس (المعالم)[2]».

المطالعة العامة

يقول الأستاذ البارز في الجامعة الدكتور السيد جعفر الشهيدي عن فترة

---

(١) سيرة العلامة الطباطبائي ص٥٣، طبعة الشفق.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ١٨، ص٣٢.

طلبه للعلم ومشاركته في درس الخارج (الدورة العليا للحوزة):

«... كنّا نطالع الكتب مطالعة عامة، كان الأستاذ يلقي درسه ويجعله محلاً للبحث وبعدها كنا نجلس ونتباحث بذلك الدرس. وأنا أظن أن حسن نمو الطالب في الحوزات القديمة هو هذا السبب. يعني أن الطالب كان أولاً يرى نفسه أنه مضطراً لفهم الدرس ودراسته، وبعدها كان الأستاذ يسمح لطلابه بالانتقاد قدر ما يشاءون، ولذا كانت تتفتّح قريحة الطالب، بعكس النظام التعليمي الحالي حيث الأستاذ هو المتكلم والطالب هو المستمع المحض، وإذا استطاع الطالب حفظ الدرس أو كتابته على ورقة، وعند الامتحان يقدمه وبعدها ينسى كل شيء»[1].

* * *

(١) «الميراث الخالد» ١/ ١٢.



الفصل العشرون

اختيار الطريقة الصحيحة للتعلم

مطالعة الكتاب

كُتِبَ عن العلامة آية الله سردار الكابلي:

«أنه كان من علماء شتى العلوم، وعالم بأكثر العلوم القديمة والجديدة ـ حتى العلوم الغربية ـ وكان ملماً بأنواع كثيرة من العلوم، كعلوم الرياضيات، الأدب، الفقه، الكلام والحديث وكان في كل واحدة من هذه العلوم محققاً وصاحب نظر. كان يصرف أكثر أوقاته على المطالعة أو تأليف الكتب، وكان يصرف حوالي ثمانِ ساعات من وقته يومياً على ذلك العمل، ومن جملة الكتب التي كانت دائماً بجانبه ويرجع إليها دوماً هو كتاب «تاج العروس» و«دائرة معارف بريطانيا» كانت تمر عليه الأيام من دون مطالعة كتاب رياضيات. أكثر كتب مكتبته كان قد قرأها من الأول للآخر. وقلما كان يشتري كتاباً فيقوم خلال قراءته ومطالعته بتصحيح اخطائه. وكان يكتب فهارس لأكثر كتبه القديمة التي لا تحتوي على فهارس...»[1].

الكتاب معه وهو مع الكتاب

«كان آية الله العظمى الأخوند [الملا علي الهمداني رجلاً عظيماً... وكانت تثار ضجة عند منبره، لأن مطالبه كانت تسكن في القلب، كانت تؤثر كثيراً وكانت تقلب الإنسان وتوجد في المستمع تحولاً... كان يعرف قيمة الوقت كثيراً، كان جدياً، ويستفيد من الخمس دقائق، وكل ما توجه إلى مكان كان يحمل معه كتاباً»[2].

---

(١) سيرة سردار الكابلي ص١٠٢.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ٢٧ ص٣٢ نقلاً عن آية الله حسين الهمداني.

المطالعة سراً

محمد القاضي [الكاتب والمترجم المعروف] في معرض رده على سؤالنا له هل كنت في صغرك من أهل المطالعة أم لا؟ قال:

«نعم، كثيراً كثيراً؛ في الصيف عندما كنت أنام في بيت عمي في الحديقة حيث أني كنت يتيماً أعيش في بيت عمي، كنت أفرش لنفسي في زاوية من الدار واشعل المصباح الصغير واطالع في الفراش، ومن كثرة صراخ عمي: أطفىء المصباح. كنت أضع المصباح تحت اللحاف لأكمل القراءة تحت اللحاف».

ثقافة المطالعة

يقول الأستاذ السيد محمد باقر حجتي حول سفره إلى إيطاليا في ٢٤/ ٧/ ١٩٨٩م:

«في مكتبة ويتوريوا مانوئل ـ المعروفة حالياً بالمكتبة الوطنية لروما والتي تحتوي على أبنية كبيرة وعظيمة وجديدة البناء ـ قبل ساعة الدوام اليومية جئنا ورأينا أنه هناك مجموعة كبيرة من الشبان والشابات، المسن، والصغير، ومن كل الأعمار، وتحت نور الشمس المحرقة، ينتظرون فتح الباب، وكان ذلك في أيام العطلة الصيفية لدولة ايطاليا. هذا المنظر جعلني أبقى متحيراً لمدة من الزمن، وتوصلت الى ان النمو الفكري لهؤلاء بسبب حب العلم والمطالعة والتحقيق، وهذا الاهتمام مصدره تلك العناية بالعلم والمطالعة والتحقيق. أما نحن المسلمون من المفروض أن يكون لدينا إقبال على العلم أكثر منهم لأنه في قاموسنا لا شيء مهم أكثر من المطالعة والتحقيق وكسب العلم»[1].

---

(١) مجلة مرآة الكمال، العدد ٤٠، ص٦٨.

عشق الدرس والمطالعة

كتب العلامة الطباطبائي رحمه الله:

«في أوائل دراستي وعندما كنت مشغولاً بالصرف والنحو، لم تكن لدي رغبة كبيرة لإكمال التعلم، ولهذا كنت عندما أقرأ شيئاً لا أفهمه، وقضيت في هذه الحالة حوالي أربع سنوات. بعدها أتتني العناية الربانية مرة وتغيرت ورأيت أنه في نفسي حب غريب للعلم والكمال، لحد أنه من ذاك اليوم إلى نهاية دراستي والتي استمرت حوالي ١٨ سنة لم أحس يوماً بالتعب أو الضجر من الدرس، ونسيت بشاعة أو جمال العالم. وأقلعت عن المجالسة مع غير أهل العلم،وقنعت بالحد الأدنى من ضروريات الحياة بالنسبة للمأكل والمشرب وسائر الوسائل الأخرى، وكنت أصرف الباقي على المطالعة والعلم. وكانت تمر علي كثير من الأيام تشرق فيها شمس الصباح وأنا ما زلت ساهراً أدرس»[١].

يقول العلامة الطباطبائي: «كنت انتظر مجيء الربيع والصيف، لأنه يكون الليل فيهما قصير، فكنت أصل الليل بالنهار وأدرس في الليل وأنام في النهار»[٢].

متيم بالكتاب

إنّ من أهم العشاق والمحبين للكتاب في القرن الثالث هم: الجاحظ أولاً وثم فتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي.

---

(١) سيرة العلامة الطباطبائي ص٥٢ طبعة شفق.
(٢) الألف كلمة وكلمة ١٧/ ٢٦٩ آية الله حسن زاده آملي.

«كان الجاحظ لا يصل الى يده كتاب إلا أتمه، الى حد أنه كان يستأجر المكتبات الصغيرة من الليل إلى الصباح، وكان يجلس فيها للمطالعة. يقول أحد المؤرخين الأواخر أنه مات الجاحظ على طريق حب الكتاب، يعني أنه وقع الكتاب على رأسه ومات لأنه كانت من عاداته أن يجمع الكتب حوله كالدائرة ويجلس بينها، وفي يوم كان مريضاً فوقع عليه حائط الكتب ومات.

أما فتح بن خاقان فقد كان من الرجال المهمين لدى المتوكل، وكان من أصحابه وكان إذا خرج الخليفة لقضاء شيء، كان يفتح كتاباً من كمه ويبقى يقرأه إلى وقت رجوع الخليفة.

وعن إسماعيل بن إسحاق، قال أحد الأشخاص: كلما دخلت عليه كان مشغولاً إما بالمطالعة وإما بتقليب الكتب»[١].

قرأت كل كتب التاريخ

يقول آية الله غروي عن آية الله العظمى حجت:

«كان ذلك العظيم، كثير المطالعة. سأنقل لكم ذكرى عنه في هذا الباب: كانت الحوزة تعطل أيام الاثنين والخميس، وفي هذه الأيام كنا نذهب إلى بيته، في أحد الأيام عندما تشرفنا إلى بيته، وجدته مريضاً.

فقلت له: بما أنكم لا تستطيعون قراءة الكتب العلمية، اقرأوا كتب التاريخ.

فقال لي: لقد قرأت كل كتب التاريخ التي كتبت لحد الآن.

فقلت: حتى كتاب ناسخ التواريخ؟

---

(١) التمدن الإسلامي في القرن الرابع الهجري ١/ ٢٠١.

فقال: حتى كتاب ناسخ التواريخ!

فقلت: إني منشغل الآن بمطالعة كتاب لم تقرأه لحد الآن.

فقال لي: إن كان هناك هكذا كتاب، فسأقدم لك جائزة.

وكنت حينها مشغولاً بقراءة كتاب «حاضر العالم الإسلامي» لشكيب ارسلان، والذي كان مترجماً من الانكليزية إلى العربية. وفي يوم الخميس جلبت له ذاك الكتاب فقال لي: «هل تصفحّت الكتاب؟ أنه ليس كتاب تاريخ. لكنه كتاب جيد».

أخذ الكتاب مني وبقي عنده إلى يوم الاثنين، وعندما ذهبت يوم الاثنين كان قد طالعه كله[1]».

المطالعة دوماً

تحدث الشيخ محمد علي الخليلي حول فترة طفولة الشهيد آية الله محمد باقر الصدر فقال:

«كنت معه في ذات المدرسة ولكن فارق السن كان كبيراً جداً؛ أنا كنت في السنة الأخيرة فيما كان هو لا يزال في السنة الثالثة... وكنت أراه دائماً في حالة مطالعة، يطالع الكتب التي كنا حتى لا نعرف أسماءها، وكان يدفعنا إلى قراءتها، وعندما كنا نقع في مشكلة كان يساعدنا»[2].

وصيتي عن مطالعة الكتب

آية الله العظمى حجّت كان يوصي:

---

(١) مجلة الحوزة ٦٢/٤٨ مقابلة مع آية الله الغروي.

(٢) «سيرة الصالحين» ص٤٧٢.

«أي كتاب تريدون قراءته أو أي كُتَيِّبْ صغير أردتم قراءته أو مطالعته، عليكم أولاً أن تعرفوا كاتبه، لأنه في بعض الأحيان إذا كان الكاتب مغرضاً فسيبث سمومه بين كلماته الجميلة والمقبولة للقلب. والوصية الأخرى هي أنه بالنسبة لمطالعة أي كتاب: عند البدء بأي كتاب ولحد اتمامه لا تتركوه ولا تبدأوا بكتاب آخر، لأن مؤلف الكتاب يتكلم معكم، وليس من الصحيح أن تقطعوا كلامه»[1].

إحياء الليل أفضل أم المطالعة

سئل آية الله صافي الأصفهاني: أي وقت من الليل والنهار أنسب للمطالعة؟ فأجاب: «الوقتين أنسب. الأول أوائل الليل بعد صلاة المغرب والعشاء. والثاني في منتصف الليل، عندما يستيقظ الإنسان للعبادة والتهجد؛ طبعاً إذا استطاع أن يجمع بين التهجد والمطالعة، وإلا فالمطالعة أفضل»[2].

١٨ ساعة مطالعة خلال اليوم

«كان العلامة الأميني ـ صاحب موسوعة الغدير ـ في سفره إلى الهند وسوريا ورؤية مكاتبهما، يطالع خلال الساعات اليومية ١٨ ساعة، ويأخذ النكات المهمة ويدوّنها وقد جمعها في مجلدين سمّاهما (ثمرات الأسفار) اسأل الله أن تطبع بأسرع وقت[3]».

---

(١) مجلة الحوزة، ٤٨/٦٢ مقابلة مع آية الله الغروي.
(٢) مجلة الحوزة، ٤١/٦٥.
(٣) نقلاً عن المرحوم السيد عبد العزيز الطباطبائي، كتاب المحقق الطباطبائي. ج٣، ص١٨٥.

المطالعة طوال ٢٤ ساعة

يقول آية الله الأميني [صاحب كتاب الغدير القيم]:

«كنت أذهب إلى مكتبة الحسينية الشوشترية وكنت اطالع هناك. ثم وجدت أن الوقت الذي خصصوه للقراء - من الصباح إلى الظهر - غير كاف، فذهبت إلى مسؤول المكتبة وقررت أن أبقى ٢٤ ساعة ويقفلوا الباب علي. وكنت آخذ معي قليلاً من الخبز وأدرس إلى أن يحين وقت خروج الناس، فكنت أبقى لوحدي ويقفلوا الباب عليّ لأنني كنت قد قررت أن اطالع كل الكتب الموجودة في المكتبة وأدون المطالب المهمة؛ وبقيت فعلاً وفعلت ذات الشيء إلى الانتهاء من مطالعة كل الكتب وتدوين ما كنت احتاجه منها!»[١].

قيمة اللحظات

«كان العلامة الشيخ أقا بزرك الطهراني لديه روح طويلة للمطالعة. وكان الشيخ قاسم محيي الدين، لديه مكتبة خطية للعائلة في بيته. وقد نقل لي الشيخ قاسم أن الشيخ آقا بزرك الطهراني جاء إلى بيتنا وبقي عدة أيام وطالع كل الكتب، وكنت آخذ له الغداء والعشاء، فلاحظت أنه كان يأكل قليلاً. فسألته لماذا تأكل القليل، أتستحي، أم لا تشتهي الأكل؟ فقال: بل اشتهي الطعام، لكني أقلل الطعام كي احتاج إلى أقل حد من الماء، واستفيد من الوقت القصير بالمعلومات الكثيرة، ولا يضيع وقتي!»[٢].

(١) كتاب «المحقق الطباطبائي» ٣/ ١١٨٨.
(٢) كتاب «المحقق الطباطبائي» ٣/ ١٢٠٠.

النوم مع الكتاب

العلامة الشوشتري ـ صاحب قاموس الرجال ـ نقل:

«كنت أنام دوماً مع الكتب، واستيقظ مع الكتب. بل كنت أدخل الى الغرفة فأوصد الباب لئلا يدخل أحد يشغلني عن المطالعة»[١].

استمرار العلم

يقول آية الله السيد عزالدين الزنجاني: «رغم ميلي الباطني كنت أريد العودة من النجف إلى إيران، لأنه قيل أن حوزة زنجان، ليس لديها أحد، ففي تلك الأيام مرض المرحوم الوالد وبات في الفراش. رأى والدي أن أعود لإدارة المدرسة وقد شكل ذلك بالنسبة لي تكليفاً. فقال المرحوم الميلاني عندما رأى انزعاجي من العودة إلى إيران: «لا تتضايق، سأعلمك شيء كي تعوض كل البعد عن الحوزة. هذه الطريقة، تحتاج لقليل من الترويض، وهذا العمل هو أن تنذر أو أي شيء آخر، وظِّف نفسك لمطالعة متن فقهي في ساعات من النهار خاصة، أدرسه بشكل عميق واكتب آراءك تجاه هذا الموضوع. فإذا عملت هذا الشيء بشكل منظم، سيعوض بُعدك عن الحوزة»[٢].

المطالعة وسيلة للكمال والنمو

نقل نجل العلامة الشيهد المطهري:

«من خصوصيات والدي الأعظم الأستاذ الشهيد، أنه ذو رغبة شديدة

---

(١) الميراث الباقي ٢/ ٥.

(٢) مجلة الحوزة العدد ٢٣، ص٤٣.

بالمطالعة والتحقيق، وكان يستفيد من كامل عمره ووقته. في يوم من الأيام عندما ذهبت إلى المكتبة ذهبت إلى مكتبته ونظرت إلى كتبه بدقه وتفحص، فقال لي والدي: «مجتبى! أنا على مدى عمري، قرأت كتباً كثيرة. ونموي وكمالي العلمي حتى الآن رهن لتلك المطالعة».

علي القول أن والدي كان يدرس في اليوم حوالي ثمان إلى عشرة ساعات. وفي كلية الإلهيات كانوا قد خصصوا له غرفة للدراسة فيها خلال الساعات الحرة وساعات الفراغ كان يقضي وقته هناك للتحقيق والتفكر»[١].

* * *

(١) «الذكريات الخاصة» ٢/ ١٥٢.



الفصل الحادي والعشرون

الطريقة الصحيحة للتعلم ورعاية سلسلة تراتب الكتب والدروس

طريقة الحل

يقول آية الله حسن زاده آملي عن طريقة قراءة الدرس بعمق:

«هذه العجلة فينا غير صحيحة ومؤسفة. لا أحد يصل إلى نتيجة بالعجلة. أنا لا أقصد تغيير أحد، لكني أرى أن أحد الأعزاء يعجل لتحصيل العلم، ويتحدثون عن كتب عليهم أن لا ينشغلوا بها حسب العرف، ويتبين أنهم قد قفزوا بدراستهم قفزاً، ومثل أولئك لن يصبحوا علماء. هل يصحّ أن يريد أن تأتيه المعلومات دفعة واحدة، وإلا بهذه السرعة وبدون تأمل كافٍ لن يصل أحد إلى مكان. ليس هذا هو طريق كسب العلم. بل يجب أن تكون هناك مقدمات للعمل محكمة وقوية، هناك العجلة التي تؤدي بعدها إلى الندم ـ وهذا مؤسف ـ طريقة التحصيل والعرف ليسا هكذا. ارتقوا إلى الأعلى بتأنٍ، كما كانت طريقة القدماء حيث كانوا يطالعون الدروس قبل أخذها، ثم تأتي المباحثات والمذاكرات...»[١].

ترتيب تدريس كتب الأدعية

يقول آية الله حسن زاده آملي عن أهمية التعرف على كتب الدعاء وتدريسها:

«أقول حسب ما أراه أنا أن تكون الدراسة هكذا وبهذا الترتيب:

---

(١) مجلة الحوزة، العدد ٢١، ص٣٤.

أول كتاب هو كتاب «مفتاح الفلاح» للشيخ البهائي وقراءته عند أستاذ لغة. وبعده كتاب «عدة الداعي» لإبن فهد وهو كتاب عظيم الشأن، إبن فهد هو أيضاً كذلك. المرحوم آية الله الأستاذ العلاّمة الطباطبائي قال: إن إبن فهد والسيد إبن طاووس والسيد بحر العلوم من الكاملين. ويأتي بعد ذلك «قوت القلوب» لأبو طالب المكي. وبعده «إقبال الأعمال» للسيد إبن طاووس، وبعده «الصحيفة السجادية»[1].

العلم أم العبادة

يقول آية الله شمس:

«الذي يدخل أولاً إلى المدرسة [الحوزة العلمية] يكون له ذهن صاف وطاهر وما زال غير ملموساً، وتجذبهم العبادات والأدعية الشريفة، لأن أذهان هؤلاء صافية وجاذبيته قوية، فيتجهون نحو تلك الأدعية، ومن جهة أخرى لعدم إمتلاكهم أي شيء من العلم يتلقون صدمة. أنا أعتقد أنه علينا نصيحة هؤلاء بشكل جيد، وعلينا القول: إدرسوا ولا تفارقوا [الرسالة العملية]. سألني أحدهم: ماذا عليّ فعله؟ فقلت: الطالب عندما يدخل إلى الحوزة، عليه أن يدرس جيداً، وجيداً، وعليه أن لا يفارق الرسالة العلمية، لتكون أعماله طبق الشريعة الإسلامية. أما الأدعية وأمثالها، فإنها مطلوبة طبعاً خلالها، لكن إذا استغل أحد حياته فيها بدل الدرس فلن يفلح. طبعاً أنه عمل جيد للبقاء على الصفاء، وليصبح من أهل الحال، إنه جيد، لكن ليس من المفروض أن يكون بحيث تتأثر دروسه العلمية»[2].

---

(١) مجلة الحوزة، العدد ٢٢، ص٣٣.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ١٣ ص٣١.

أتْرُكْ درس العرفان

أحد المشاكل المعاصرة هي أن الطالب لا يراعي المراتب والمراحل العلمية، وكما شوهد أن طالباً في سنواته الأولى لطلب العلم يلهث وراء الكتب العرفانية والجلسات العرفانية. ويدرسون إلى جانب الصرف: (لب الألباب) و(سير وسلوك بحر العلوم) وإلى جانب «الصمدية والفتوحات المكية» وبعد مدة تصبح الدروس الحوزية: قيل وقال متناثرة، ويتركون إكمالها أو يدرسونها بنظرات تحقيرية! سأذكر القصة الآتية لتكونوا من الذين يعرفون قيمة الوقت:

يقول آية الله الحسيني الهمداني حول الإشتراك في درس آية الله علي آقا القاضي: «. . . كان مقرراً أنه إضافة إلى دروسي الأخرى ان أذهب لعنده في ساعة فراغي. ولهذا كنت أذهب إليه وهو يدرِّسني؛ لكنه لم يكن درساً عادياً، بل كان درساً عرفانياً؛ إنه احد العرفانيين الوجدانيين. المستمع كان يحصل عنده يقين بكل ما يسمعه وكل ما يقوله الأستاذ حتى أصبحت كل أذكاري وأورادي هي المرحوم الميرزا علي القاضي. لم أكن أهتم لأيّ من الدروس. درسه هو كان مدار اهتمامي. باقي الدروس كانت تذهب من بالي. طوال اليوم، لم أكن لأفكر إلاّ في كلامه وأقواله. . . وبعدها قليلاً فقليلاً تغيرت أشياء كثيرة في أحوالي وفي إستيقاظي في الليل وعدم الاهتمام إلا بدرسه، وتغير حالي وأصبحت عجيباً. . . ففي أحد الأيام، قلت للمرحوم آية الله الشيخ محمد حسين الكمباني: إن الميرزا علي القاضي جاء إلى مدرستنا وأخذ هنا حجرة. فانتبه هو وعرف القضية. وقال لي: «يا سيد! من المبكر عليك الآن أن تذهب إلى درس الميرزا علي القاضي. وأنت الآن لست رجل هذا الميدان. إنه رجل عظيم ويحتاج إلى تلميذ عظيم مثله. ومن الأفضل لك ترك درسه الآن، وللتعلم من المسائل الأخلاقية أن تكتفي

بدروس وجلسات الأستاذ عبد الغفار [وكان أستاذ أخلاق] التي تقام في بيته، فهي أفيد بالنسبة لك من هذه الجلسات». وكنت أحترم المرحوم آية الله الشيخ محمد حسين الكمباني، وأقع تحت تأثير روحه القوية؛ لذا تركت درس المرحوم الميرزا علي القاضي... وفي أحد الأيام خلال كلام علي آقا القاضي قال أنه قد درس دورة الخارج لكتاب الطهارة سبع مرات[1]!!

التعلم خطوة خطوة

يقول المرحوم الحاج آقا راشد عن والده الآخوند ملاّ عباس التربتي الذي كان من العلماء الصالحين:

«... كان والدي كلما قرأ كتاباً من جامع المقدمات إلى كفاية الأصول لا يهمل أية كلمة غير معروفة وغير مفهومة. بل كان يعطي كل سطر وكل مطلب وكل كلمة معناها والمقصود منها ويكتب الإعراب الصحيح لتلك الكلمة. وعندما يقرأ الآيات كان يكتب شأن نزولها وقراءتها وإعرابها ومعناها الصحيح، وكان يأخذ كل كلمة وكل جملة من التفاسير الصحيحة»[2].

علم الكلام

يقول آية الله جوادي الآملي في تفسيره:

«على الطالب أن يحفظ متن «التجريد» للعلامة الطوسي، في ذهنه، لا أن يكون «التجريد» في المتاحف كآثار قديمة. كتاب «الشرائع» للمحقق الحلي كتب في نفس الوقت مع «التجريد». و«الشرائع» قد بحث في الحوزات كثيراً وقد كتبت شروحات كثيرة عليه وقد فهمت موضوعاته كثيراً،

---

(١) مجلة الحوزة، العدد ٣٠، ص٤٤ و٤٥.

(٢) «الفضائل المنسية» ص١٨٩، الطبعة الرابعة.

في حين لم يعر للتجريد، إلا القليل من الإنتباه»[1].

رعاية التربية

يقول المفسّر عظيم الشأن سماحة آية الله الجوادي الآملي:

«عندما أنهينا دراسة كتب «الرسائل» و«المكاسب» و«الكفاية» مع جزء من «الرياض» وأردنا البدء بـ «شرح المنظومة» لدراستها ـ وكنا قد سمعنا من علمائنا وأساتذتنا في (آمل) الذين نجلّهم وقالوا: أولاً إدرسوا «الكلام» لتكون الأصول العقائدية عندكم مستدلة، وبعدها إبدأوا بالفلسفة. وقد فعلنا ذلك فبدأ بـ «شرح المنظومة بعد شرح التجريد»[2].

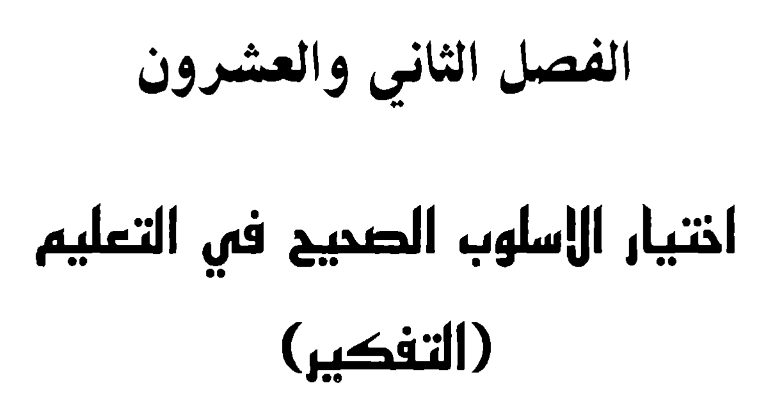
فن الفهم

قال الإمام الخميني رضي الله عنه:

«عندما كنت في صحن السيدة المعصومة أعطي درس الحكمة، انتخبت حجرة هناك وكانت تسع لسبعة عشر شخصاً. انتخبت المكان عمداً كي لا يأتي كثير من الناس. وقلت للذين كانوا يأتون والأفراد الخاصين اكتبوا الدرس الذي أعطيكم إياه وسأراه، فإذا رأيت أنكم قد فهمتم الدرس ستكملوا وإلا ستكونون غير مؤهلين لدراسة الفلسفة، لأنكم لا تدركون المطالب وستكونوا مصدراً لعناء أنفسكم وعنائي. لأنكم ستقولون: درسنا الفلسفة عند فلان...»[3].

* * *

(١) درس التّفسير في المسجد الأعظم بقم ـ في: ٢١/١/١٩٨٧م.
(٢) مجلة كيهان الثقافية، العدد ٩، ص٥، ١٩٨٥م.
(٣) «سيرة آية الله البروجردي» ص٣٨٨، لمحات خاصة من حياة الإمام الخميني ٦/٦٧.



الفصل الثاني والعشرون

اختيار الاسلوب الصحيح في التعليم

(التفكير)

الإمتياز الكبير

يقول الأستاذ الشهيد المطهري رحمه الله:

«لا أثق بعلم من يفتخر بأنه قد عاصر في حياته أساتذة كثيرين ودرس عند أساتذة كثيرين. مثلاً يقولون إن العالم الفلاني درس عند المرحوم النائيني ثلاثين سنة وعند السيد ضياء خمس وعشرون سنة. أنا أقول أنه من صرف ٥٥ سنة متواصلة على التعلّم وتحصيل العلم، ليس عنده مجال إذاً للتفكير، فكل قواه وفكره وعمره صرفه على الأخذ. ليس لديه فرصة وقدرة ليتوصل هو إلى شيء... الشيخ الأنصاري الذي يعد من المبتكرين وأفقه العلماء في المئة والخمسون سنة الأخيرة، كانت مدة دراسته وتحصيله قصيرة جداً...

الأغلب كانوا ينتقدون آية الله البروجردي بأنه عاصر قليلاً من الأساتذة في حياته.

بنظري، إن حُسن البروجردي في هذا. مع أنه خلافاً لرأي المنتقدين. إن المرحوم درس عند أساتذة من الدرجة الأولى عشرة إلى ١٢ سنة، سبعة أو ثمانية من السنوات كان قد قضاها في النجف وثلاث إلى أربع سنوات في أصفهان. في حين ان علماء النجف كانوا لا يقبلونه، وكانوا يقولون عليه أن يقضي ثلاثين سنة في التعلم! في حين أن إبتكار المرحوم البرجردي كان لهذا السبب، وكان أكثر ذكاءاً من العلماء المعاصرين له. لأنه كان يفكر، أي كان لديه مجال للتفكير»[١].

---

(١) التربية والتعليم في الإسلام ص٦ و٧.

الإنسان المجهول

يقول آية الله العظمى الآخوند الخراساني:

«كنا نذهب إلى درس الشيخ مرتضى الأنصاري، وكان بين الحضار سيد موقّر وساكت، يجلس في زاوية مع أن كثيراً من الأشخاص كانوا يتكلمون خلال الدرس، لكنه كان لا يتكلم شيئاً، وكنا نظنه أنه ليس رجل بصيرة وليس رجل علم وفهم؛ لكن بعد وفاة الشيخ، بدأ الشيخ بالدرس من المكان الذي وصلناه مع الشيخ مرتضى الأنصاري، ولأنه كان يدرِّس بدلاً عنه، حضرنا في درسه ورأينا كم أنه شخص عجيب وبحر موّاج في التحقيق والتدقيق وسعة الإطّلاع وقدرة الفكر ودقة النظر. إنه هو العلاّمة الزاهر السيد علي الشوشتري الذي صلّى على جنازة الشيخ مرتضى الأنصاري بناءً لوصيته[1]».

إفهم الدرس أم إقرأه؟

«... تحدث سماحة آية الله جوادي الآملي عن وضع الدرس والتحقيق في الحوزات في السابق أن الأستاذ كان في السابق يربّي تلاميذه وينمّيهم، وكان الطالب واقعاً طالب. يوماً ذهب صاحب «الفوائد الرجالية» مع صاحبه لعند أستاذهم، وقالوا له: تلقينا درسنا اليوم ولن نأتي لمدة عدة أيام. تعجب باقي الطلاّب وقالوا للأستاذ: ماذا يعني عمل هذان الإثنان أن يأتوا إلى الدرس يوم واحد ويبقوا كل الأسبوع بدون حضور الدرس ولا يأتون إلى الدرس؟!

فقال الأستاذ: العمل الصحيح ما يقوم به هذان وسترون في المستقبل من الذي يصبح عالماً! وبعد مدّة أصبح كل واحد منهما فحلاً في العلم

---

(١) القمر الساطع ص٣٠ الهامش، الطبعة الثانية.

وتركوا آثاراً «كالمعالم» الذي هو لحد الآن لا يزال كتاب متن ودراسي أو كتاب «الفوائد الرجالية» وهو كتاب قيّم. لكن باقي الطلاّب بقوا إلى الآخر طلاباً.

لأنه هذان الطالبان كانا يدرسان درساً واحداً ويطالعانه ويحققانه لمدة أسبوع، لكن باقي الطلاّب كان عملهم الإستماع فقط[1]»!

التدريس الكثير

يقول آية الله بهاء الديني رحمه الله:

«شاركت في درس الخارج لمدة، لكن بسبب الإنشغالات الكثيرة والتدريس الكثير الذي كنت منشغلاً به، بقيت مدّة لا أباحث ذاك الدرس ولا أنشغل بالتفكير بمطالبه وما كنت أهتم به، والآن أدركت أني كنت مشتبهاً طوال هذه المدة»[2].

* * *

(١) «في محضر العظماء» ص١٨٢.
(٢) «آية البصيرة» ص١٢٠.



الطريقة الصحيحة لتعلم العلم

[الكم والكيف في إنتخاب الدروس]

اختيار الأستاذ

يقول سماحة آية الله الأستادي:

«باعتقادي أنه عدا درس بعض مراجع التقليد والكبار في الحوزة الذين يعدّ درسهم معبّراً عن الجمال والعظمة في الإسلام، فإنّ باقي الدروس إذا كانت مكتظة فانها مضرة للطالب حتماً. فمثلاً حضور الآلاف في درس آية الله البروجردي أو حضور الآلاف في درس إمام الأمة الخميني رحمه الله هو علامة على عظمة الإسلام، وأنه جيد جداً. لكن في غير هذه الموارد فإن الإزدحام في الصفوف مضر. «الدرس الخارجي» يمكن أن يكون أفيد لأنه ممكن أن يباحث الأستاذ مع طلاّبه ويقول كلاماً جديداً.

للأسف يعتبر الآن درس «الخارج» من الشؤون العالية للروحاني، بشكل أنه إذا أحد من الأفاضل لم يبدأ بتدريس «الخارج» يقع في ملامة الناس. وإذا كان والعياذ بالله بدأ بشرح الخارج فإنه بسبب التشريفات يعتبر نفسه قد بدأت رجولته وعلو شأنه ـ وطبعاً هذه الأشياء غير موجودة في الحوزة وليس من المفترض أن تكون ـ في هذه الحالة هو مستحق للوم، لكن إذا درَّس أحدٌ ما السطوح دورة واحدة أو مرتين وأحس في نفسه أنه يستطيع شرح دروس الخارج لعدد من الطلبة، وأجبر نفسه على العمل، وأجبر الطلاب أيضاً للسعي، يكون أفضل ومطلوب، وبنظري إنه من الاعمال الجيدة جداً والتي يجب أن تكون في الحوزة مورداً للاهتمام. هذا الإمتياز كان يعمل به في حوزات النجف، إن العظماء لم يكن لديهم إلاّ عدة من الطلاب. الدروس التي تكون كثافة حضارها قليلة لها بركات كثيرة. سمعت

أن إمام الأمة [الخميني] عندما بدأ بدرس الخارج لم يكن يحضر إلا المرحوم المطهري وعدة آخرون، وكم كان الدرس مفيداً وراسخاً. فدرس المرحوم المحقق الداماد الذي استمر لسنوات وكان طلابه فقط في حدود العشرين إلى ثلاثين طالباً يشاركون فيه، لكن الجميع كان من الأفاضل والأساتذة. . . »[1].

فهم الدرس جيداً

يقول الأستاذ البارز في الحوزة العلمية آية الله ستوده:

«المهم في الدرس حسن القراءة وحسن الفهم، وليس كثرة الذهاب إلى الدرس. لا بد من فهم الدرس والمطالب جيداً والبحث فيها. يقول المرحوم آية الله البروجردي: عندما كنت أذهب إلى الدرس في أصفهان كنت أعمل في ذات الوقت. ويقول: كنت أذهب إلى الدرس كي لا يقولوا أن السيد حسين لا يذهب إلى الدرس، وإلا فإني لم أجد ضرورة ذهابي إلى الدرس. على الطالب أن يكون هكذا. بجانب دروسه، عليه المباحثة القوية والفعالة مع الآخرين. . . »[2].

الدرس والتفكير

قال الإمام الخميني:

«إذا أراد الطالب أن يكون موفقاً، ليس عليه أن يذهب إلى دروس كثيرة. يكفي في اليوم درس أو إثنين. فأكثر من هذا ليس مفيداً بل مضراً، يجب أن يكون الدرس مقروناً بالتفكير والإبتكار، لا الحضور أو الكتابة

---

(١) كتاب «الثلاثين مقالاً» لسماحة آية الله الأستادي، ص٣٩٥.

(٢) مجلة الحوزة، العدد ٩، ص٧٢.

فقط»! على هذا الأساس يقول: «من الجيد أن ينظم أوقاتهم الإخوة، بحيث يدرس جميع اساتذة الدرس في ساعة واحدة وكل الأصول في وقت واحد، كي ينتظم وقت الذهاب إلى الدروس»[1].

لماذا لا نصبح مجتهدين؟

هناك آراء مختلفة في خصوص كيفية قراءة الدرس في الحوزة، بعض الكبار يعتقدون أن كثرة حجم الدروس والدروس بعجلة، ليست طريقة الإجتهاد إلاّ للأشخاص الذين لديهم إستعدادات فوق العادة، كما ينقل عن آية الله الشيخ عزيز الله الخسروي رحمه الله قوله: «ذهبت في أحد الأيام إلى الشيخ فياض الزنجاني، تلميذ الشيخ هادي الطهراني كان يدرس درس الخارج. فسألني: ولدي! في اليوم كم درس تدرس؟ فقلت له: درسين (طبعاً كانت ثلاثة دروس، لكن في تلك الأيام كان أحد الدروس متوقفاً). فقال: آه لهذا لا تصل إلى نتيجة».

كان رأيه أن درسين كثير!

بعدها قال الشيخ يعقوب علي السرخة ديزجي ـ المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ ق: «لو قلتَ له ثلاثة دروس كان سيضربك»!

وكان رأي آية الله حجت هكذا أيضاً؛ فعندما كنت في (قم) قلت له: يا سيد، لماذا رغم الدرس الذي ندرسه لا نصبح مجتهدين؟ فقال: لانكم مشغولون بالتعلم فقط، وبهذه الطريقة لا تصبحوا مجتهدين. الذي يريد أن يصبح مجتهداً، عليه كلما درس درساً أن يجتهد بذاك الدرس ويستعمل فكره»[2].

---

(١) مجلة الحوزة ٥٥/٥٧، مقابلة مع آية الله اللنكرودي.
(٢) «الميراث الخالد» السنة الثالثة، ١/ ١٤٥.

وصية العلامة الشعراني

يقول آية الله جوادي الآملي:

«قال العلاّمة الشعراني: إذهبوا إلى قم وأدرسوا «الفقه» و «الأصول» و «المعقول». إدرسوا هذه الثلاث دروس مع بعض. ثم قال لي شيئاً آخر. لكن نقلت هذه القصة بشكل مختلف. لقد قال: في جنب قبر السيدة المعصومة فاطمة عليها السلام وبجانب قبور العلماء والعظماء هناك بركة. ونقل هذه القصة أن طلاب أفلاطون، كانوا كلما تصعب عليهم مسألة علمية كانوا يذهبون إلى جنب قبر أفلاطون وكانوا يبحثون جنب قبره وكانت الكثير من المشكلات تحل!»[1].

برنامج المطالعة المنظمة

يقول آية الله المصباح اليزدي في خصوص الإستفادة من أيام العطلة:

«عادة كنا نقضي العطلة بالمتفرقات، لكنه من الجيد أن يكون لدينا برنامج مرتب بالنسبة للمطالعة إلى جانب الدروس الحوزية. مثلاً فرع الدراسات التاريخية، وفرع الأديان. ومثلاً أنه في كل سنة يعمل على مجموعة دراسات معيّنة. فالتفنن في الدروس تساعد كثيراً، فإذا درس الإنسان من الصباح إلى المساء الفلسفة سيتعب، ويحتاج لإستراحة، ومن الجيد أن تكون إستراحة الإنسان في مثل هذه الأوقات مطالعة بعض الكتب التي لا تحتاج إلى تفكير كثيراً»[2].

* * *

(١) مجلة كيهان الثقافية، العدد٩، ص٦.

(٢) «في محضر العظماء» ص٩٧.

الفصل الرابع والعشرون

اختيار الصديق والمباحث

المباحث الجيد

تحدث آية الله العظمى فاضل اللنكراني أن أحد أسباب توفيقه:

«كنت معتقداً أن الدرس مقدم وله أولويات ولا يمكن أن أعطله إلاّ إذا حصل أمر مهم. ولكن لأنني رأيت أنّ زملائي في البحث لا يعيرون الدرس نفس الأهمية إبتعدت عنهم شيئاً فشيئاً إلى أن بدأت بقراءة كتاب «المطول»، عندها ألهم إليَّ أن اقترح على أحد الطلاب الذي كان يشارك معنا في الدرس بالمباحثة سوية، وكان قد لفت نظري، فقبل إقتراحي ووافق، الشروط التي كنت أراها في المباحث كانت توجد فيه بتمام المعنى، يعني أنه كان يمتلك إستعداداً كافياً، وبالنسبة للمطالعة والمشاركة بالدرس كان يعطي إهتماماً كافياً، وبالنسبة للمباحثة كان يهتم أيضاً بشكل كامل، فمن هذه الجهة تباحثت معه بكل الدروس من الأول إلى نهاية السطوح العالية وحتى مع المباحثات الفلسفية وقسم من بحث الخارج. وقد استفدت من المباحثة معه كامل الإستفادة، وجود هكذا مباحث كان من عوامل توفيقي»[١].

وصية الولد

يقول الشهيد العظيم آية الله مطهري رحمه الله في رسالته لابنه الدكتور علي مطهري:

«ولدي العزيز، نور عيني المكرّم، يا سيّد علي مطهري ـ وفقك الله لما

---

(١) مجلة نداء الثورة، العدد ٩٠، ص٢٥.

يحبّ ويرضى ـ أسأل الله التوفيق لك وحسن العاقبة وسلامتك. . . دقق جيداً في اختيار الصديق والرفيق، لأن الحيّة جميلة ولها خال جميل. وهكذا مطالعة الكتب التي تقع بين يديك، وحاول قدر الإمكان أن تقرأ في اليوم الواحد حزب واحد من القرآن كحد أدنها، فإنه يستغرق حوالي خمسة دقائق، واهدِ ثوابه للروح المباركة للرسول الأكرم ﷺ، إعلم أنه موجب للبركة والموفقية للإنسان إن شاء الله»[1].

الدقة في اختيار المباحث

قال المرحوم آية الله الرباني الأمشلي:

«في أيام دراستي، لم أكن أغيّر أساتذتي كثيراً، بل وحتى المباحثين أيضاً كانوا محدودين. بعض الطلاب كانوا يغيرون مباحثيهم كثيراً، لكن أنا لم أكن هكذا، وكان لديّ طبع خاص أنه إذا رضيت بمباحث ما، فاستمر معه كثيراً، وإذا قبلت بأحد ليكون مباحثي فكان يبقى مباحثي الدائمي. لا أذكر بالضبط أنه قبل كتاب السيوطي والمغني، من كان مباحثي، لكن منذ ذلك الحين وحتى النهاية تعرّفت على الشيخ هاشمي الرفسنجاني وبدأنا بالمباحثة، ورجل ثاني اسمه السيّد الترتبي أيضاً كان معنا وهو دَرَسَ لحد شرح اللمعة، وبعدها بدأ بدرس آخر وفي النهاية أصبح طبيباً، لكن بقينا إلى آخر بحث الخارج نتباحث مع بعضنا، ودرسنا سنوات عند سماحة الإمام الخميني سوية. . .»[2].

* * *

(١) «الماضي الخاص» ٢/ ١٦١.

(٢) «مجلة نداء الثورة» العدد ٧٦، ص١٤ سنة ١٩٨٢م.

الفصل الخامس والعشرون

تأمين أدوات العلم

تبديل اللباس بالكتاب

نقل العلاّمة سردار الكابلي عن خاتم المحدّثين الميرزا الشيخ حسين النوري ـ صاحب مستدرك الوسائل ـ:

« . . . كان المحدث النوري من الملازمين للمجتهد الكبير الميرزا حسن الشيرازي ـ أعلى الله مقامه ـ وكان يقيم في سامراء، عندما كان يذهب أبي إلى سامراء أكثر الأيام كان يحل ضيفاً على المحدّث النوري. وفي أحد الأيام دعاه والدي للمجيء إلى الكاظميين ليكون لمدّة ضيفنا، فقبل المرحوم دعوتنا وفي أحد الأيام خرج من البيت عندما كان في الكاظميين وكنت أنا بخدمته، وفي السوق رأى هناك إمرأة بيدها كتاب تريد بيعه. أخذ المحدّث الكتاب من يدها ووقف في زاوية ونظر إلى الكتاب مدة من الزمن وبعدها سأل البائعة عن ثمن الكتاب. فقالت له المرأة: إن ثمنه غالٍ جداً. وكان غير مألوف لمثل هذا الكتاب الصغير، لكن بتمام التعجّب رأيت أن المحدّث النوري من غير أن يطلب منها التخفيف من سعر الكتاب أخرج كيساً من جانبه وبدأ يعدّ ماله، ولأن ماله كان أقل، قال للمرأة: هل تقبلي بقية سعر الكتاب أن تأخذي جبتي؟

نظرت المرأة إلى الجبة فوجدت أنها جديدة وقماشها جيد فقبلت. فنزع العباءة عنه وأعطاني إياها، ونزع الجبة عنه وأخذ مني العباءة ووضعها على كتفيه وأخذ الكتاب وذهب إلى البيت مسرعاً، وفي البيت بقي ساعات متوالية منشغلاً بمطالعة الكتاب. فسألته: ما هذا الكتاب الذي تعتبره يستحقّ هذا المبلغ؟ فقال في الجواب: سعر هذه النسخة أكثر من هذا بكثير، ولو

طلبت المرأة مالاً أكثر لكنت نزعت عباءتي والدشداشة وأخذت هذا الكتاب. بعدها قال: هذا الكتاب هو «أصل زيد الزراد» والذي هو أحد الأصول المهمة لأصحابنا».

[زيد زراد احد الأصحاب والروائيين للإمام جعفر الصادق، ويعد كتابه من الأخبار التي رواها الإمام. وللإطّلاع الأكثر راجع: خاتمة مستدرك الوسائل، الفائدة الثانية»[1].

تأمين الكتاب بالأقساط

كان للشيخ حسن آقا المصطفوي مكتبة بيع كتب. دخلت مكتبته وكان يظهر لي محبة كثيرة، وأنا ممتن له لأنني قد إشتريت منه أكثر كتبي بالأقساط. من بركة وجوده التي ساعدنا لشراء كتبنا بالأقساط. نحن كنا نشتري بمعاشنا، خمس تومان، عشر تومان إستطعنا إعطاءه إياها مثلاً أحد الكتب الذي إشتريته منه كتبت عليه في ذلك اليوم [شرح تذكرة البيرجندي ـ تذكرة الهيئة كان كتاباً جيداً ـ كان قد جاء له. فقال صاحب المكتبة: جاءتني هذه الدورة وهذه النسخة، وهذه النسخة جيدة لعملكم، وكان «شرح التذكرة» في الهيئة، مهم جداً. متنه من العلامة الطوسي وشرحه من الفاضل البيرجندي. فقال هذه النسخة مفيدة لكم، وأخذوا مني ١٥٠ توماناً وأنا أريد خمسة فيصبح سعره ١٥٥ توماناً. فقلت له: يا حاج أنا لا أستطيع. فقال: خذه، وأعطني ماله بالأقساط. من المؤسف أن لا يكون هذا الكتاب بيدك. كانت محبته لهذه الدرجة وحتى أمتلك الآن كتاباً كنت قد كتبت في بدايته بالنسبة لتقسيط ١٥٥ توماناً والذي طال لمدّة ١٣ شهراً حتى أكملت سعره»[2].

---

(١) سيرة سر دار الكابلي ص٥٠.

(٢) مجلة الحوزة العدد ٢٢، ص٣٨.

كنت أشتري كتاباً بثمن الخبز

يقول العلاّمة الشوشتري ـ صاحب قاموس الرجال ـ:

«في الخمس أو ست سنوات التي أمضيناها في العتبات، كان يقع كفران بالنعمة كثيراً، في المساجد وباقي الأمكنة كانوا يرمون الخبز وباقي الأشياء. فكنت أحياناً آخذ من ذلك الخبز إلى البيت وأشتري بمال الخبز كتباً»[1].

بيع الملابس والحذاء لشراء كتاب

أخبرنا السيد أبو الحسن القزويني عن السيد العالم الرباني السيد اسد الله الأصفهاني، الذي كان من أصحاب الناحية المقدسة وقال:

«كنا مع المرحوم الشيخ العظيم خاتم المحدّثين وبدر النوريين الميرزا الشيخ حسين النوري ـ نوّر الله مرقده ـ متوجهين إلى كربلاء، ما بين الطريق قال: أطلب الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني كثيراً، وكلما أبحث عنه لا أجده، لكن في هذه الرحلة سآخذهما من سيد الشهداء عليه السلام وكان دائماً يقول ذلك. وما إن دخلنا إلى كربلاء، دخلنا إلى الحرم من مكان الأحذية للمرحوم السيد هاشم (في الزاوية الغربية) وعندما إنتهينا من الزيارة خرجنا من الحرم، وعندما إقتربنا من المكان الخاص بالأحذية، رأينا هناك إمرأة مخدّرة وبيدها كتابان فسألتها: ما هذان الكتابان؟ فقالت: إنهما للبيع.

فنظرت إلى الكتابان فرأيت أنهما الكتابان اللذان كنت أحتاجهما! فقال لها الميرزا: بكم تبيعينهما؟

(١) الميراث الباقي ٢/ ١٠.

فقالت المرأة: ٢٢ قِران.

فقال لي الميرزا: كل ما عندك من المال أعطني إياه. كل ما كان لدينا أنا وهو ست قرانات. فقلت في نفسي لقد دخلنا الآن ولم نأكل بعد، ومالنا هو هذا فقط. فإن أعطاه للمرأة من أين سيأتي بالباقي؟

ثم قال للمرأة: تعالي معنا، وذهبنا إلى السوق وباع عباءته، لكن المال كان لا يزال قليلاً. فباع عمامته، وكان أيضاً قليلاً. وباع جبته، وفي النهاية باع حذاءه وأعطى المال للمرأة. وما أن ذهبت المرأة حتى لم يكن قد بقي معه غير قميص والبيجامة والقبعة التي يضعونها تحت العمامة.

فقلت له: مولانا ماذا صنعت بحالك؟

فقال: سهل، نحن دراويش!

دخلنا إلى صحن الحرم بتلك الحالة، ورآنا بعض الإخوة والأصدقاء، فذهبوا وجلبوا له بعض الثياب ولبس...»[1].

رهن الثياب والحذاء لتهيئة الكتاب

جاء في سيرة آية الله العظمى المرعشي النجفي:

«عندما كان في النجف رهن ثيابه وحذاءه عدة مرات بل وباعهما لشراء الكتب... عندما أراد شراء كتاب (رياض العلماء) اضطر لبيع ثيابه وساعته ليستطيع تسديد سعر الكتاب. وفي بعض الأحيان كان يأخذ أشهر الصيام بالأيجار أو الصلاة، كي يستطيع تأمين مبلغ لشراء الكتب التي يريدها وبعدها عندما أصبح مرجعاً كان لا يزال يعاني من الفقر والفاقة في حياته الخاصة

---

(١) معجزات وكرامات الأئمة الأطهار عليهم السلام ص١٩.

والفردية، ولم يكن يستطيع تأمين مصاريف حياته بسهولة»[١].

أهمية المكتبة

أحد شروط الصلح بين المأمون العباسي وميشال الثالث ـ امبراطور الروم الشرقية البيزنطي ـ كان أنه وهب له إحدى مكتبات القسطنطينية![٢].

* * *

(١) «شهاب الشريعة» ص٣٠٣.
(٢) «الكتاب والمكتبة في الإسلام» ص٩٩.

الفصل السادس والعشرون

التشجيع

أثر تهنئة واحدة

قال حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفلسفي ـ الخطيب الإيراني الكبير ـ في مذكراته:

«في أول مرة قررت فيها الصعود إلى المنبر، ذهبت لعند الشيخ علي أكبر الرشتي العزمي وقلت له: أكتب لي محاضرة! فقال لي: آخذ قرانين واكتب لك. أعطيته قرانين وكتب لي خطبة. حفظت الخطبة. وصممت أن تكون أول محاضرة لي في نفس مسجد الفيلسوف، وكان والدي كل يوم يقيم فيه صلاة جماعة. فصعدت إلى المنبر بعد الصلاة.

وكان الشيخ محمد شيخ منطقة سوهانك. كان يأتي في السنة مرة يبقى يومين أو ثلاثة عندنا وكان يجلب معه سلة من الفواكه. وكان حينها المجيىء من شميران إلى طهران يعدّ سفراً. لأن الناس كانت تستأجر حميراً وكانوا يعانون من السفر من شميران إلى طهران.

في وسط طريق شميران، كان هناك سيد يضع على رأسه شالاً أخضراً، وكان في المحلة حوض ماء وأشجار ويقال له: المقهى، كان يستقبل راكبي الحمير بمظهر ضحوك ويسقيهم الماء. في بعض الأحيان كانوا يعطوه شيئاً من المال وذاك السيد كان دائماً ضحوكاً وبشاشاً ولهذا كان معروف بقلب «السيد الضحاك»!

وفي تلك الليلة عندما أردت الذهاب إلى المنبر، كان الشيخ محمد أيضاً في مسجد الفيلسوف يشارك في صلاة الجماعة مع والدي: وما أن قال والدي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وانهى الصلاة قمت وصعدت

المنبر. والدي كان جالساً في المحراب كان يعلم، أما الآخرين فلم يكن لديهم اطلاع عن هذا الموضوع.

الشيخ محمد الشميراني الذي كان قد رآني عشرات المرات انبهت عندما رآني على المنبر. وسائر الأشخاص لم يبدأوا بالنافلة لصلاة العشاء. الكل كان ينظر إليّ. هذه هي من الذكريات الحسنة التي لن أنساها أبداً ولن تُنْسى. فبدأت بالكلام وكنت قد حفظت المطالب المنبرية، فألقيتها. اذكر جيداً أنه في بداية الخطبة التي كتبها لي الشيخ عزمي كانت أبيات شعر والتي ابتدأت كلمتي بها:

بسم الله الرحمن الرحيم

لن تصل إلى مقصد القلب بدون حب علي
حتى لو زرعت حب العود لن تصل إلى المقصود
دون حب علي وأولاد علي
قسماً بالله لن تصل إلى مقصدك
فسفينة نجاتك من الهلاك علي
أجلس كي لا تصل إلى ورطة قاتل علي
حب علي حسنة لا تضر معها سيئة

عندما قلت هذه الأبيات الثلاثة، قال الشيخ محمد الشميراني بصوتٍ عالٍ: أحسنت. صدقاً إن كلمة «أحسنت» أعطتني من القدرة في ذلك الزمان وكنت كلما سمعت أو قرأت في كتابٍ كم هو مؤثر التشجيع، كانت تظهر لي كلمة (أحسنت) كالشمس تشرق في ضميري!

قرأت كل الخطبة التي كنت قد حفظتها وتلك خطبة القرانين كانت قد جذبت الجميع، من المحتمل أنني كنت في ذاك الحين في ١٥ أو ١٦ من عمري، والبعض قال لوالدي إسمح أن يقام في بيتك جلسات حتى يكمل

طريقه ويقرأ خطبه ويكمل منبره الذي ابتدأ به هنا.

تلك الليلة عندما ذهبت إلى البيت قال لي والدي: مع أنها أول خطبة لك لكنك تكلمت جيداً وقلت المواضيع بدون اضطراب وخوف ووحشة، كان بيانك جيداً. فقلت له: هذا الجيد أعطاني إياه الشيخ محمد الشميراني[1]».

شهرية جيدة وحجرة مناسبة

قال آية الله إمامي الكاشاني عضو مجلس صيانة الدستور المحترم:

«. . . إحدى اشكالات البقاء في قم كان، أن المرحوم آية الله العظمى البروجردي قال: الطالب الذي يأتي إلى قم عليه أن يمتحن بالرسائل والمكاسب، وأيضاً يجب أن يكون قد أكمل العشرين. وأنا في ذاك الوقت كنت قد اكملت ١٨ سنة ولم أكن قد درست الرسائل والمكاسب بعد، لكن كان لدي امتياز، وهو كان قد قال كل من حفظ ألف بيت من أبيات الفية بن مالك من أبيات العرب، فله هدية مئة تومان. . . ذهبت لعند آية الله البروجردي وكان يجلس حينها في «وشنوه» في قم، عندما حل الغروب ذهبت لعنده وعرّفت نفسي، وعندما قرأ رسالة التعريف قال لي: إقرأ أبيات الألفية حتى أرى. وبكل سرور بدأت بقراءة الأشعار، طبعاً بعض الأشعار كانت صعبة، لكن بالعناية الربانية لله تبارك وتعالى ولإمام العصر ـ أرواحنا له الفداء ـ فرح مني في ذاك المجلس كثيراً وقال: «ليبدأ بالدرب» والظاهر أن هذه الكلمة كانت كافية، وبعدها أعطوني الحجرة التي على باب مدرسة الفيضية، مرَّ شهر واحد والشيخ قوام الذي كان من البداية يصلح أعمالنا جاء إلى غرفتي وسلمني ظرف وقال: أمرنا آية الله أن نعطيك شهرية. وإذا كنت

(١) كتاب «ذكريات حجة الإسلام الفلسفي» ص٥٥ ـ ٥٧.

قد امتحنت بالمكاسب والرسائل كانت شهريتي ١٧ توماناً لكن الشيخ البروجردي أمرهم أن يعطوني عشرون توماناً شهرية لي»[١].

سفر كربلاء

يقول آية الله بني فضل عن أحد أساتذته البارزين:

«كان الشيخ علي أكبر النحوي [أحد طلاب آية الله البروجردي] لا نظير له في الحوزة من ناحية الأدب، وكان صاحب «القاموس» و«المنجد» و«مجمع البحرين» وعندما يُسأل عن مطلب نحوي كان مطلعاً على المتون الأدبية إلى حد أنه كان يقول: هكذا يقولون في باب «رابع مغني» وهكذا في «حاشية الدسوقي» أو «السيوطي» أو «المطول».... وفي أحد الأيام أخذ المرحوم الإمام الخميني والميرزا عبد الله المجتهدي الشيخ علي أكبر إلى منزل آية الله البروجردي وقالوا: يجب أن يعرف البروجردي من هو الشيخ علي أكبر. وكانوا قد مدحوا الميرزا علي أكبر أنه هو هكذا في الأدب.

قال السيد البروجردي في جوابه: لدي إشكالان في الأدب ليس لهما حل، لم يستطع حلهما علماء النجف والأماكن الأخرى، وسأسأله عنهما. والظاهر أن الإمام الخميني كان قد سأله: «ماذا ستفعل إذا حل لك الإشكالان؟» فقال آية الله البروجردي: سأعطيه هدية. نعطيه مصاريف الذهاب إلى كربلاء.

الاشكال الأول: في آخر السيوطي، باب الأمالة «أمالة حرف لحرف، والذي لديه أحد عشر شرطاً» وراجع لبعض شروطه، وما إن قال الشيخ البروجردي مكان الاشكال حتى قال له الشيخ علي أكبر: اسمح لي أن أقول لك ما هو إشكالك؟ اشكالكم هو هذا وجوابه هذا. المرحوم البروجردي

---

(١) «مجلة نداء الثورة» العدد ١٢٠ ص٢٤ سنة ١٩٨٤م.

تعجب كثيراً وشجّعه. وأما الاشكال الثاني والذي كان أحد أشعار امرؤ القيس، وما إن قال السيد البروجردي الشعر، حتى قال له الشيخ علي أكبر الاشكال وجوابه. فهيء المرحوم البروجردي، مصاريف السفر إلى كربلاء وتقبّل منه الهدية وقال: أنا لم أر أحداً مثلك في الأدب!»[1].

تشجيع الشباب على طلب العلم

كان في بلدة نجف آباد، عالم إسمه «الشيخ أحمد حججي النجف آبادي» المعروف بـ «مبطل السحر». كان مجتهداً متواضعاً جداً. ومن جملة أعماله الخيرة التي كان قد يقوم بها، تشجيع الناس على إرسال أحد أولادهم ممن يمتلك ذهناً واسعاً واستعداداً كثيراً، إلى الحوزة لتحصيل العلوم الدينية. وكان يسعى لهذا العمل بشدة لحد أنه كان قد عرف بين العام والخاص، وأهل المدينة وأهل القرى. على سبيل المثال: كان هناك شاب كان أتى إلى أصفهان لتعلم العلوم الدينية عند السيد علي النجف آبادي. لكن والده لم يرض بذلك. فقال له السيد علي النجف آبادي على سبيل المزاح: «لا تصر كثيراً وإلاّ بعثت لك الشيخ أحمد فإنه علاوة على أولادك يأمر ويشجع كل رجالكم على طلب العلم!»[2].

التشجيع المنشّط

يقول الدكتور محمد الخوانساري ـ الأستاذ البارز في الجامعة ـ عن فترة شبابه ومشاركته في جلسات القرآن:

«... اذكر أنه في إحدى الليالي سأل المرحوم المقدس رحمه الله

(١) صحيفة الجمهورية الإسلامية، الاثنين ١٩/ ١/ ١٩٩٥م، ص١٢.
(٢) مجلة الحوزة، ٤٨/ ٣٦ مقابلة مع آية الله الشيخ محمود اليوسفي.

خلال تفسير الآية الشريفة: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ سأل عن إعراب «خليفة» ولأن أغلب الحضار كانوا من التجار في السوق لم يجب أحداً. فقلت له: منصوب لأنه مفعول مشبه بالفعل «جاعل» واضفت أن فاعل «جاعل» هو ضمير مستتر تقديره «أنا» و«جاعل» في هذه الآية تعني «خالق» ومتعدية لمفعول واحد فقط. فشجعني الأستاذ كثيراً وقال: «إذا احتجت أي كتاب وكان عندي في مكتبتي سأضعه بإختيارك». هذا التشجيع بث فيَّ النشاط، وأنساني كل ما حُرِمْتهُ وكل المضايقات»[1].

هدية للكاتب الشاب

يقول آية الله الموسوي الهمداني (مترجم تفسير الميزان):

«من أوائل تحصيلي وخلال الدرس والبحث أحياناً كان يخطر ببالي مسألة مهمة فكنت أدوِّنها. اذكر أنه في الوقت الذي كنت فيه عند المرحوم كمالوند لدراسة «المكاسب»، كنت قد ألفت كتاب «أصول العقائد» في قصة طويلة. أفراد القصة كانوا عدة أشخاص هنود يتحاورون خلال سفرهم من الهند إلى باكستان وإيران، الكلام والأسئلة التي كانت تتبادل بينهم تبينت إنها مباحثة عقائدية. فأعطيت الكتاب لأستاذي المرحوم كمالوند ليعطيني رأيه ويبين لي نواقصه. فطالعه الأستاذ جيداً وقبله، وفي أحد الأيام بعد الدرس، قال لي: يا فلان، تعال اليوم إلى بيت البروجردي. كان هو من أعضاء هيئة الاستفتاء للمرحوم آية الله البروجردي... فأعطى المرحوم كمالوند كتاباتي له. ظننت أنه سيورِّق الكتاب قليلاً وسيضعه بجانبه لكن وبكمال التعجب رأيت أنه يقرأ الكتاب ورقة ورقة، فرحت كثيراً كيف أنّ كتابات طالب صغير نالت عناية هذه الشخصية العظيمة، كانت عظيمة بالنسبة إليَّ.

(١) الميراث الباقي ٤/ ١١٠.

وبعد القراءة قال: لمن هذه الكتابة؟

فأشار المرحوم كمالوند وقال: إنها له... فدعى حينها لي الله بالتوفيق.

في ذاك الوقت كان المرحوم الإمام الخميني مسؤول ومدير الحوزة. فخاطب المرحوم البروجردي وقال له: أطلب من الطلاب أن يأخذوا الأقلام بأيديهم وأن يكتبوا، فالإسلام يحتاج لكُتَّاب، ولا يكتفوا بالدروس الحوزوية.

وعندما أردت الخروج من عنده أظهر لي البروجردي المحبة وأعطاني ٨٠ توماناً بعنوان هدية، وكان ذاك المال عنوان البركة لأنني اشتريت به ثياب العروس ووسائل زواجي»[١].

الفرح

آية الله الشهيد السيد حسن المدرس كان يشرف على المدرسة العلمية في سبهسالار تحدث عنه آية الله العظمى الميرزا هاشم الآملي فقال: «لقد أخرج من المدرسة كل أبناء العلماء والاشراف الذين لم يكونوا أهلاً للعلم والعمل. ووضع امتحانات صعبة للدخول إلى المدرسة.

وعندما التقيت به وسألني: ماذا تدرس الآن؟ فقلت له: فلسفة الاسفار. فقال: بهذا السن القليل وتدرس الاسفار؟ فقلت: عند الامتحان سيعلم كل شيء! امتحنني فنجحت بنحو جيد. ومن ذاك الحين كنت مورد اهتمام للمرحوم المدرس، وأعطاني غرفة أجلس فيها لوحدي واستفيد منها، وكان قد قرر لي خمسة توامين كل شهر، وقال للخادم أن يساعدني في غسل ملابسي وإعداد الطعام.

---

(١) مجلة الكوثر، العدد ١٠ ص٤، ٥.

في تلك الليلة لم أنم من شدة الفرح، وبدأت بالدرس بجد»[1].

الإحترام المشجِّع

يقول آية الله مشكاة الأصفهاني:

«التشجيع واحترام الطالب، خاصة أمام أصدقائه وأقاربه مؤثر جداً. وعلاوة على ذلك إنه يجبر الطالب على الجد والمثابرة، وموجباً لترويج الشريعة؛ لأن التشجيع واحترام الشخص والذي هو مصدر لعملٍ ما بين الناس كالتبليغ والترويج، موجب لإحترام الناس له وفي النهاية سيكون العمل حسب أقواله. وأذكر في هذه المناسبة: في أحد الأيام بعد أن رجعت من النجف وكنت في إيران مشغولاً بالتبليغ والتدريس، ذهبت مع جمع من الأصدقاء إلى النجف الأشرف. وكان المرحوم آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني يصلي في الحرم، وانشغلت أنا أيضاً بالصلاة. كنت أسعى كي لا يراني لئلا أشغله عن عباداته؛ لأنه كان يلطف بي كثيراً. وفي النهاية، رآني وطلبني. فتلطف بي كثيراً وشجعني كثيراً. أظن إنه فعل هذا لترويج الشريعة؛ لأنه رأى أنه معي عدة أشخاص من أهالي إصفهان، احترمني كثيراً لأستطيع ترويج وتبليغ الدين بين الناس»[2].

ذكرى الجائزة

يقول الأستاذ عبد الحسين الحائري:

«اذكر من درس المرحوم محمد تقي الخوانساري خاطرة كانت جذابة بالنسبة إليّ: كان هناك عدد من الأشخاص يشاركون في درسه؛ وكان الحاج

(١) مجلة نور العلم، العدد ٥٣، ص١٩٧.
(٢) مجلة الحوزة، ٣١/ ٥٢.

علي الصافي والشيخ محمد حسن الهرسيني الكرمانشاهي وآخرين. وحسب العادة قرأ الشيخ الخوانساري، أول متن «الكفاية» وأورد المرحوم المشكيني إشكالاً على كلام الآخوند. وكنت قد قرأت المتن والاشكال المحشى من قبل، وبنظري ليس هناك مورد للإشكال. وكان البحث في تداخل الأسباب. فقال لي: بنظرك كيف رأيت كلام المرحوم أبو الحسن المشكيني وأين عيبه؟

فقلت له: العيب فيه هذا، وجوابه هذا. ولأنني كنت صغيراً في السن، ما إن بدأت بالكلام حتى بدأ أحد كبار الأصحاب بالضحك. الشيخ الخوانساري لامَ ذاك الشخص بشدة وفي صباح اليوم التالي جلب لي هدية وبعثها مع الشيخ علي أصغر القزويني الذي كان من المقدسين في الحوزة العلمية»[1].

التشجيع في سبيل الهدف

تحدث المرحوم آية الله الخسروي الزنجاني عن زمان حكومة رضا الشاه الخائن ووضع الحوزات العلمية:

«... ساءت الأوضاع أكثر، وكانوا كلما رأو عالماً نزعوا عمامته ورموها على الأرض. بقيت حوالي شهر كامل لم أخرج من مدرسة السيد فتح الله. وكنت ارتزق من الخبز اليابس الذي كان في قبو المدرسة! كل الغرف خلت والكثير نزعوا زي الروحانيين واشتغلوا بعمل آخر بسبب الأوضاع، ولم يبق في مدرسة السيد فتح الله غيري أنا والخادم.

وعندما هدأ الوضع قليلاً ذهبت إلى القرية، وشجعت عدداً من الشبان على تحصيل العلوم الدينية، وكانوا من المستعدين في المنطقة، ومن جملتهم الحاج أمير آقا [آية الله السيد إسماعيل الموسوي أمام جمعة زنجان

---

(١) مرآة البحث، العدد ٢، ص٦٧.

الحالي] كان من عائلة عريقة في البلد، جاء معي إلى زنجان. طبعاً الكثير كانوا معارضين وكانوا يقولون: في هذه الظروف التي يخرج فيها طالب العلم من الحوزة لماذا تأخذ أبناء الناس إلى الحوزة وتحرمهم من كل شيء؟ لكنني لم اصغ لكلامهم لأن الإسلام كان محتاجاً لطلاب العلم، والآن عندما وقعت الحكومة بيد العلماء نحتاج أكثر من السابق لطلاب العلم. يجب أن يكون في كل بلد وقرية عدة أشخاص من الروحانيين»[١].

إيجاد الدافع

يقولون أنه أحد سلاطين الصفويين ذهب للقاء الآخوند ملا عبد الله التوني صاحب الوافية رآى أن المدرسة خالية من الطلاب، فسأل الآخوند عن السبب. فأجابه أنني سأجيبك بعد مدة.

بعد ذلك وفي أحد الأيام ذهب الآخوند لعند السلطان، فقال له السلطان أريدك أن تطلب مني حاجة، فقال له الآخوند ليس لدي حاجة.

فأصر السلطان. فقال له الآخوند: لأنك تصر فسأطلب منك أن اركب أنا على الحصان وتمشي أنت أمامي على الأرض راجلاً في ميدان إصفهان لمسافة قصيرة.

فسأله السلطان عن السبب. فقال له الآخوند: سأقول لك السبب فيما بعد.

ولأن السلاطين الصفويين كانوا دعاة لدين سيد المرسلين، قَبِلَ السلطان ذلك ومشى أمامه، فيما مشى الشيخ وراءه راكباً الحصان. بعدها ودّع الشيخ السلطان. وبعد مدة جاء السلطان لعند الآخوند في المدرسة مرة ثانية، فرأى أن المدرسة مليئة بالطلّاب! سأله عن السبب. فأجابه الآخوند:

---

(١) «الميراث الخالد» العدد ٩، ص١٤٦.

لأن الناس لا يعرفون فضيلة العلم في بداية الأمر، بل في الجهة ذاتها ينظرون إلى الدنيا، وبعدها عندما رأوا أنك تمشي أمامي علموا قيمة العلم في الدنيا وعرفوا أن للعلم مرتبة كبيرة في الدنيا، فأقبلوا على تحصيل العلم وعندما ينالون مراتب العلم، ستصبح نيتهم خالصة؛ كما قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو لغير الله، فإنه يجر إلى الله». يعني اطلبوا العلم وحتى لو لم تكن النية لله، لأنه سيجره فيما بعد إلى الله[1].

الإهتمام المشجِّع

«... مع أن الآخوند الخراساني كان من المدرسين الذين قلّ نظيرهم في الإسلام يعني كان الأول في الأصول، وكان شخصاً غير عادياً ومن أساتيذ هذا العلم، وثانياً كان لا مثيل له في فن التعليم، كانت لديه قدرة عجيبة في البيان والتحقيق والتقرير. ويشارك في درسه ألف ومائتي طالب خمسمائة منهم مجتهدين!

يقولون أن الآخوند الخراساني كان لديه صوتٍ عالٍ بحيث أنه من دون مكبّر للصوت كان صوته يملأ فضاء المسجد. إذا أراد الطالب أن يعترض، كان عليه القيام حتى يستطيع ايصال سؤاله للأستاذ. في مقابل هكذا أستاذ قدير، كان آية الله البروجردي في سنين شبابه الأولى، فطرح اشكالاً وقرّره.

فقال له المرحوم الآخوند: قُلْه مرة ثانية.

فأعاد البروجردي كلامه وكرره مرة ثانية.

عرف الآخوند أن كلام البروجردي صحيح وإشكاله في محلّه. لذلك قال له: الحمد لله لم أمت قبل أن استفيد من طالبي[2]».

---

(١) «تذكرة العلماء» ص١١٩ و«قصص العلماء» ص٢٧٠.

(٢) «الحكايات والهدايات» ص١٠٦. «الملحمة الحسينية» ١/٢٩٨.

جائزة الكتاب

يحكي العلامة سردار الكابلي أن العلامة السيد حسن الصدر ـ عندما كنت في الخامسة عشر أو الرابعة عشر من العمره ـ أمرني أن أحفظ «ألفية ابن مالك» وهي ألف بيت من الشعر العربي من الأدب العربي ومتن «تجريد الكلام» للعلامة نصير الدين الطوسي عن ظهر قلب وأهداني على حفظ «ألفية ابن مالك» كتاب «المصباح المنير الفيّومي» ولحفظ «التجريد» مجلد شرح كتاب نهج البلاغة للملاّ صالح الروغني القزويني[١].

* * *

(١) سيرة سردار الكابلي ص٥١.

الفصل السابع والعشرون

أداء حق الوظيفة

الذكرى المُرَّة

يقول حجة الإسلام والمسلمين سماحة الشيخ رفسنجاني عن فترة دراسته:

«. . . كنت امتلك عزة نفس عالية، ولأنه عُرِفَ أننا نذهب إلى التبليغ ونأخذ مالاً، تضايقت كثيراً وكان تحمّل هذا الأمر صعب عليّ. علاوة، على أنه ضمن التعليمات الأولية، كنا مضطرون لأداء هذه الوظيفة لأنها وظيفتنا الشرعية، وأخذ المال كان صعب علينا. لكن الضرورة كانت تحملنا على هذا. أمّا ذكريات «التبليغ»؛ فإن أول ذكرى عندي ترتبط بإحدى قرى منطقة خمين والتي اسمها «كَمَره». وكان زميلي في الدرس، ابن تلك المنطقة، فشجعني أن اذهب إلى هناك في الأربعين. أعطاني عنواناً. ركبت سيارة ومعي حقيبة مليئة بالكتب، ذهبت إلى هناك. فنزلت من السيارة على جانب الطريق، قرب مقهى. مرّت علي بصعوبة جداً. أصلاً كنت أخجل. كنت أظن أن الناس الآن يقولون بأنني أتيت من أجل المال. كنت أحس بحالة إنكسار. بقيت ليلتها في المقهى. جاءوا في الصباح وأخذوني. أخذوني إلى بيت فيه قراءة عزاء. والمفروض أنهم كانوا يقصدون إمتحاني. فخطبت هناك خطبة. وحسب العادة عند الطلبة في الأول قرأت [الآية ٦٠، يس] ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ وتكلمت عن عبادة الشيطان وعبادة الله. واجهت الناس بلحن حادٍ في الأول. البعض تقبّل كلامي والبعض الآخر لم يتقبّل. لم يأخذ منبري مجاله؛ والغربة ضغطت عليّ. فرجعت لأخذ الحقيبة من المقهى.

كانت حالتي مضطربة، لم يُقبل منبري، ولم يكن مكاناً جيداً.

فاستخرت أن أعود أو أبقى فكانت الآية: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ ومعناها أن لو اطلعت على أحوالهم لهربت منهم.

فركبت سيارة بسرعة وتوجهت نحو قم عائداً...»[1].

الحدّاد المبلّغ

«الشيخ محمد حسين التنكابني عم الشيخ الفلسفي تعرف على شخص روحاني متدين في طهران اسمه الشيخ حسن الحدّاد كان يقول مسائل على المنبر. كان في النهار يذهب إلى عمله في الحدادة، وفي الليل يذهب إلى المساجد أو المنازل ليتكلم على المنابر، وكان يذكر المصائب ويبين الأحكام الشرعية»[2].

العوائد المعنويّة

يقول المرحوم آية الله الرباني الأملشي:

«بعد عهد المصدِّق ذهبنا للتبليغ والإرشاد مع الشيخ هاشمي الرفسنجاني إلى مدينة «فسا»، كان سفرنا لله... عندما ذهبنا إلى «فسا» كان الشيهد الدكتور باهنر قد ذهب إلى «فسا» للتّبليغ قبلنا. في البداية ذهب إلى المنطقة التي كانت قد سجلت لي على قيد القرعة، وبعدها بقي في تلك البلدة لآخر ذاك الشهر. تلك القرية كانت سمعتها في السابق سيئة، وفي تلك الأيام كانوا ميالين لحزب تودة [مناصرين للحزب الشيوعي] وكان يوجد بين الناس مخالفين للدين والمذهب. عندما ذهب الدكتور باهنر إلى هناك وكان

---

(١) مجلة الحوزة العدد ١١ ص٣٩ سنة ١٩٨٥م.

(٢) ذكريات الشيخ الفلسفي ص٩٠.

قد أمضى يوم أو يومين هناك، كان قد شخص الشيخ الارسنجاني أن المرحوم باهنر لا يصلح لتلك القرية. لأن أهالي هذه القرية كانو قد خرجوا مرة من المسجد واقفلوا باب المسجد في وجهه! وعندما ذهبت إلى تلك المنطقة وصعدت على المنبر كتجربة، كان الشيخ ارسنجاني قد شخص أنني استطيع الصمود أمام هذه الناس أكثر. لأن المرحوم باهنر كان مؤدباً وهادئاً جداً، ومن المحتمل أنهم كانوا يستطيعون ايذاءه أكثر... وفي النهاية بقيت أنا في تلك المنطقة لنهاية شهر رمضان المبارك مع كل الصعوبات... تلك السفرة كانت فيها كثير من العوائد المعنوية»[1].

التبليغ العملي

أحد أصحاب المناصب القاجارية يصف سفره إلى النجف الأشرف ولقاءه مع الشيخ الأنصاري:

«اليوم أيضاً ذهبت لرؤية الشيخ مرتضى الأنصاري وكانت في بيته حصيرة قديمة بالية، لا أحد يستعملها حتى الفقراء!

كان يقول أن عائلته لا تستعملها أيضاً. وكان طعامه في الليل والنهار الخبز لوحده. مع أنه كانت تأتيه من الناس مبالغ كبيرة جداً، لم يكن يقبل... كان رجلاً عظيماً جداً. لم يكن يهدر ساعة أو دقيقة من عمره. كان إما أنه يصلي أو يؤلف أو يطالع الكتب»[2].

* * *

ينقل عن آية الله العظمى السيد عبد الله الشيرازي أن إحدى عباراته كانت أنه في كل مقطع من الزمان من تاريخ الشيعة هناك شيخ أنصاري بين

---

(١) مجلة نداء الثورة، العدد ٧٦، ص١٥.

(٢) مجلة نداء الحوزة العدد ١١، ص١٦٦.

العلماء. إن تعبيره هذا له أبعاد مختلفة وسنوضح رأيه فيما بعد، يقول: «إن الناس لن يصبحوا شيوعيين ومشركين. ولن يتراجعوا عن الدين. الناس رأوا وضعنا فتراجعوا عن الدين. رأوا كيف نسعى وراء تأمين الحياة المعيشية الدنيوية فتراجعوا عن الدين»[١].

قال الأستاذ مصباح اليزدي: إن ثقافة أهل إيران السامية، رهن للعناء الدائم للعلماء. الآن الوضع جيد جداً، في السابق حتى أهل القرى لم يكونوا يقبلوا طالب العلم. كان أحياناً يبقى الطالب الذي ذهب إلى القرية للتبليغ في المسجد من الليل إلى الصباح ولم يكن يجد أحداً يستضيفه في بيته. حتى أنه نقل لي أحد الأخوة: ذهبت إلى قرية لتبليغ أهاليها، ولأنني لم أكن امتلك مكاناً لأجلس فيه ذهبت إلى المسجد ورفعت إحدى البساطات وغطيت به نفسي، ثم علمت أن أحداً غيري كان قد جاء إلى هذه المنطقة وفعل مثلي ثم تبين أنه آية الله العظمى المشكيني ـ دامت بركاته ـ كان قد أتى إلى تلك المنطقة ولم يستقبله احد في بيته!!

لكن مع كل ذلك لم يتوقف العلماء والطلبة عن السعي والفعالية، ذهبوا بين الناس، شمّروا سواعدهم، وعمرّوا لهم مساجد وحمامات عامة، وبنوا مدارس و. . . الأعمال التي يقوم بها جهاد البناء حالياً كان العلماء في عهد الشاه قد بدأوا بها، وأخيراً رفعوا المستوىٰ العلمي، اليوم إذا كان هناك للتبليغ مشاكل، علينا التحمل وعلينا المقاومة وأن لا ننسى الله»[٢].

* * *

---

(١) مجلة نداء الثورة، العدد ١٣٣، ص٢٠.

(٢) «في محضر العظماء» ص١٢٩.

الفصل الثامن والعشرون

ارتداء زي أهل العلم

الثياب التي تستغرق وقتاً

«في أحد الأيام جاء شاب ومعه جبة فيها أزار كثيرة جلبه «ابن يوسف حدائق الشيرازي» الى الشهيد السيد حسن المدرّس وقال: هذا الشاب يريد أن يصبح طالب علم. فقال له الشهيد: كم تستغرق من الوقت لفتح هذه الأزرار وغلقها؟ فقال الشاب: المجموع عشرة دقائق.

فقال السيد: الرجل الذي يستغرق لبس جبته عشر دقائق، لا يصلح لطلب العلم»[(١)].

وقت ارتداء زي العلماء

يقول العارف الرباني آية الله حسن زاده الآملي حول ارتداء ثياب العلماء المقدس:

«تعلمت أكثر «شرح اللمعة» والعام والخاص من «القوانين» عند علماء (آمل) المباركين. وعندما وصلت إلى «اللمعة» و«القوانين»، إمتُحِنْتُ عند علماء آمل، وفي بداية كل سنة وفي نهايتها كان لدينا امتحان. بعدها قال لنا الإخوة عليكم أن ترتدوا زي العلماء في هذه المرحلة. ولعلك تسأل: ألم تكونوا قد أرتديتم ذلك الزي حينها. أقول: كلا لقد كان زياً محترماً جداً حينها. يعني أنهم قالوا لنا عليكم أن تصبحوا أشخاصاً قادرين على فتح كتاب اللمعة أو الشرائع وتستطيعون شرح عدة مسائل من الرسالة العلمية

---

(١) «مجلة الحوزة» العدد٢٢، ص٧.

للناس. توصلوا إلى حد ما. بعدها البسوا الثياب. وقد تسأل: الذي لم يمتحن بعد لا يستطيع لبس الثياب؟ أقول: كلا، كانوا يمنعوه. كان العلماء يتحفظون كثيراً من هذه الجهة. لا أنسى عندما لبست الثياب بأمر من أستاذنا وكان كبير البلد، وكان بعض الأخوة أيضاً غيرّوا زيهم [لبسوا الزي الروحاني]. فرآهم أستاذنا في اليوم التالي في المدرسة فكلمهم بخشونة كثيرة وقال: لماذا استعجلتم؟ لماذا غيرتم ملابسكم ماذا تريدون من تغييرها؟ يجب أن تكون حرمة الزي محفوظة دائماً»[1].

معنوية اللباس العلمائي

يقول العلامة الطباطبائي مؤلف تفسير الميزان القيّم:

«كنت في منزلي في النجف الأشرف مشغولاً بالمطالعة، وكان كتابي أمامي على الطاولة، وكنت متكئاً على يدي، أفكر بمسألة علمية بعمق، وفجأة تغير مسير تفكيري وبدأت أفكر بمسألة ثانية وهي: إلى متى ستبقى علاقات إيران والعراق هكذا فلا تصلنا الحوالات المالية من إيران؟

وفجأة سمعت باب البيت يطرق.

قمت وفتحت الباب رأيت رجلاً طويل القامة وله لحية حنائية ويرتدي زي العلماء وعمامة، لكن زيه غير زي العلماء الحاليين ولا حتى العمامة، وما إن فتحت الباب، سلم، فرددت السلام فقال: «أنا الملك حسين الولي، يقول لك الله خلال مدة ١٨ سنة متى بقيت جائعاً حتى تقطع موضوع أفكارك وتفكر بالحوالة».

بعد قول هذا سلم عليَّ وذهب. فأغلقت باب البيت وعدت. عندها رفعت رأسي عن يدي وأصبت بالحيرة من هذه المشاهدة: الأول أنه هل

---

(١) «مجلة كيهان الثقافية» العدد ٥، ص٤، سنة ١٩٨٤م.

كنت مستيقظاً أم نائماً؟ وكلما حاولت أن اقنع نفسي إنني كنت نائماً لم أستطيع؛ الثاني هو أنه هل قال الملك حسين أم الشيخ حسين الولي؟ وأيضاً كلما حاولت أن أقنع نفسي أنه قال الشيخ حسين لم استطع، لأن كلمة شيخ ما كنت سمعتها ولم أصدق أنه قال لي الملك حسين لأن الملك لا يظهر بهكذا مظهر؛ والثالث هو مبدأ التاريخ ١٨ سنة أي سنة؟ إذا كانت السنة التي بدأت بطلب العلم فيها؟ كانت أكثر من ١٨ سنة، وإذا كانت المقصود السنة التي ذهبت فيها إلى النجف تلك أيضاً كانت أقل. وفجأة احتملت أن تكون السنة التي لبست فيها زي العلماء، وما إن حسبت حتى رأيت أنه صحيح ١٨ سنة. كنت قد لبست ذاك الثوب.

بعد مجيئي إلى تبريز، وفي أحد الأيام ذهبت إلى مقبرة لزيارة الأموات، وكانت مقبرة قديمة معروفة بـ«مقبرة الولي» تفاجأت بقبر مكتوب على حجره: «قبر المرحوم الملك حسين الولي»! وهناك تذكرت الملك حسين الولي في النجف، نظرت إلى تاريخ وفاته رأيت أنه لحد اليوم الذي ذهب لعندي في النجف كان قد مر على وفاته ٣٠٠ سنة» نقلاً عن كتابات السيد محمد باقر الموسوي الهمداني مترجم تفسير الميزان، وقد سمع القصة من العلامة الطباطبائي»[١].

العمامة الكبيرة

المحدث السيد نعمة الله الجزائري كتب:

«عندما أنهيت دراسة التصريف للزنجاني وأردت دراسة الكافية [ابن حاجب في علم النحو]، ذهبت إلى قرية ثانية ودرست الكافية عند رجل فاضل. وفي أحد الأيام كنت في المسجد ودخل رجل يعتمر عمامة كبيرة وكأنها قبة صغيرة وكان يبين للناس أنه رجل عالم. وبعدها ذهبت إليه وسألته

---

(١) كتاب «الثلاثين مقالة» لسماحة آية الله الاستادي ص٤٣١ و٤٣٢.

صيغة من صيغ الصرف، لكنه لم يجب واضطرب، وبعدها قلت له أنت لم تعرف جواب هذه الصيغة لماذا وضعت على رأسك حملاً ثقيلاً، فضحك الحاضرون وقام ذاك الشخص ساعتها وذهب.

هذا العمل جعلني أسعى لدراسة صيغ الصرف، والآن استغفر الله من سؤالي لذاك الرجل المؤمن في أوائل طلب العلم، لكن أحمد الله أن هذا الشيء حصل قبل التكليف والبلوغ»[1].

زي العلماء مبعث فخر

يقول الأستاذ الشهيد مطهري رحمه الله:

«كنت قد دُعِيْتُ إلى المؤتمر الديني في جامعة شيراز قبل عدة سنوات، أحد الأساتذة كان في السابق طالب علم ـ ولعله كان تلميذي ـ كان مأموراً لأن يعرّفني. فقال في آخر كلامه هذه الجملة: «إذا كان ارتداء زي العلماء افتخار للبعض، فهو فخر لهذا الزي». فاشتعلت بالنار من هذه الجملة، وعندما قمت بعده للخطاب قلت له: يا فلان، ما هذا الكلام الذي خرج منك؟ أصلاً هل تفهم ما تقوله؟ من أنا لأكون فخراً للعباءة والعمامة، وما هذه المجاملات الفارغة التي تتبادلونها؟»[2].

لم أخن في هذا اللباس

يقول الشيخ آقا بزرك الطهراني عن آية الله الشيخ حسن علي الطهراني المشهدي:

«كان من أهل التقوى وعالم حقاً، وعالم عامل وكامل، درس عدة

---

(١) «قصص العلماء» ص٤٣٨.

(٢) «سيماء الصالحين» ص٣٠٨.

سنوات عند آية الله الميرزا الشيرازي. قبل البدء بالدرس والبحث، حسب أمره، كان يقرأ مقداراً من نهج البلاغة في حضوره، من وجوه تقواه أنه لم يكن يرتزق من الأموال الشرعية. ولم يكن يتصرف بها أبداً، وحتى أنه كان يعطيها لشخص آخر، إلا بعد رئاسته في مشهد وطبقاً للأمر الشرعي وفي نهاية الإحتياط كان يأخذ القليل منه ويصرفه في موارد معينة.

نقل آية الله أحمدي الميانجي أن شخصاً أصيب بمرض الحصبة وقال له الطبيب إذا عرقت فستشفى، سعى ذلك الشخص ليعرق فلم يوفق إلى أن دخل الشيخ حسن علي الطهراني إلى ذاك المجلس وقالوا له: يا شيخ إن هذا الشخص إذا عرق شفي.

فقال الشيخ حسن علي اجلبوا لي الأرجيلة وما أن أبدأ بها حتى يعرق هو. انتهت الأرجيلة ومع ذلك لم يعرق ذاك الشخص. فقال آية الله الطهراني هيئوها لي مرة ثانية وبدأ بشربها وفجأة بدأ ذاك الشخص بالتعرق وعرق بشدة ومن كثرة الفرح لمعت أعيننا. الكل سأله بتعجب أنه كيف قلت بكل اطمئنان أنه عندما أتم هذه الأرجيلة سيعرق هو؟!

فقال آية الله حسين علي الطهراني: لأنني منذ زمن لم أرتدي هذا الثوب، ولم أخن الإمام صاحب العصر والزمان ولأي سبب، وكنت أعلم أنهم لن يكذبوني أمامكم وأصبح كاذباً بينكم، لذا كنت مطمئناً من أنهم سيهيؤا له أسباب التعرق[1]».

***

---

(١) «شرح حياة الميرزا الشيرازي» تأليف: آقا بزرك الطهراني.



الاعتقاد بعدم قيمة الظواهر والعناوين

لا نسعَ خلف العنوان واللقب

يقول الدكتور رجبي عن والده العظيم سماحة حجة الإسلام والمسلمين الحاج آقا دواني:

«قبل حوالي أكثر من ثلاثين سنة، كانت جامعة طهران تسمح لكل عالم قد أتمّ دورة السطوح وأخذ شهادة من الحوزة الدخول إلى الجامعة ودراسة مرحلة الليسانس والدكتوراه في الالهيات. وبعد ثلاث سنوات من التحصيل كانوا يعطوه شهادة الدكتوراه في الالهيات (العلوم العقلية والنقلية) المقبولة استخدامها من قبل الطالب، وكانت للشهادة قيمة علمية وعملية وتوظيفية كاملة. [وذلك قبل الثورة].

في ذاك الوقت اقدم على هذا العمل الروحانيون في عمر والدي وأخذوا الدكتوراه. قلت لوالدي: لماذا لا تقدم لأخذ شهادة الدكتوراه؟ فأجاب والدي وبإستغناء تام: وماذا ينقص عنوان حجة الإسلام وثقة الإسلام حتى أضيف إليه لقب الدكتور؟ إذا عندنا نحن فضل وكمال ليس هناك حاجة لتأييد الدولة وأربعة من أساتذة الجامعة، إن عنوان الدكتور لا يزيدنا شيئاً»[1].

مرجع تقليد يعيش في بيت مستأجر

جاء في سيرة كثير من العلماء أنهم كانوا علماء كبار ولم يكونوا يمتلكون بيتاً، ومن جملة هؤلاء العلماء آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر:

---

(١) «مجلة كيهان الثقافية» العدد ١٠٩، ص٥.

«كان آية الله الشهيد، طوال حياته يسكن في بيت مستأجر وكان يعيش في بيت بسيط، فعرض عليه تاجر صالح، مبلغاً لشراء بيت صغير، فقال له: تصلح المرجعية في بيت مستأجر. ولم يقبل المال. فقال له التاجر: إذن خذ المال واشتر به بيتاً لأولادك. فأجابه آية الله الصدر: فليتأسّ أولادي بي، وإني أسكن في بيت مستأجر، والدي أيضاً لم يكن يمتلك بيتاً!»[1]

الطريق للكون عالماً

نقل آية الله الأراكي عن أستاذه العظيم سماحة آية الله العظمى الحائري اليزدي أنه قال:

«على الطالب أن يعيش ببساطة ودون تكلف. إذا أراد أن يصبح عالماً عليه ترك التقيدات. عالم الدين لا يزيد شأنه بالجدار والباب والشكل، بل أن يكون إمرار معاشه سهلاً ـ أحياناً تكون الحياة صعبة وضيقة، على الطالب، عليه أن يقاوم ويقف في وجه الصعوبات. . . »[2].

الرياضة والعلم

الأستاذ علي الدواني تحدث عن رياضة الإمام الخميني رحمه الله في فترة شبابه فقال:

«نقل المرحوم السيد رضا التفرشي من علماء طهران الاعلام والذي توفي منذ سنوات، أنه في زمان شباب الإمام، كان يذهب هو وآقا عبد الله الطهراني (الحاج عبد الله آل آقا الطهراني من أصدقاء الإمام الخميني) وسيّد آخر (نسيت اسمه) كنا نذهب أيام الجمعة إلى أراضي خاك فرج في قم ونتمشى ونلعب بالكرة.

---

(١) مجلة نداء الحوزة، العدد ١٣ ص١٤٠.

(٢) سيرة آية الله الأراكي ص٢٩٦.

يقول المرحوم: كنت في خدمة المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري. . . في هذا الوقت قال السيّد: يا شيخ! لدي شكاية من السيد روح الله! فقال الشيخ ما هي شكايتك؟ فقال السيد: السيد روح الله يسعى لرمي الكرة، على وجهي، لحد أنه مرتين أو ثلاثة مرات أدمى أنفي! فقال الشيخ وهو يبتسم: يا روح الله! يا عزيزي حاول أن لا تؤذي أحداً ولا أحد من أصحابك يشتكيك. فقال السيد روح الله الخميني: يا شيخ، ليس عن قصد، عندما أرمي الكرة، فإن أنفه طويل (أنف هذا السيد) فتقع الكرة على أنفه، فما هو تقصيري إذن، فمن هذا القول، ضحك الحضار وضحك نفس السيد المشتكي»[1].

في منظار العقل أم العين

جاء في سيرة العلامة كمال الدين ميثم البحراني ـ شارح نهج البلاغة ـ:

«دخل إلى مدينة الحلّة بمظهر وزي رجل فقير، وتوجه إلى مجلس فضلاء الحلة، فلم يعرفوه ولم يعتنوا به. ورغم اعطائه الجوابات الصحيحة والمشاركة معهم في المسائل لم يعتنوا به أيضاً ولم يستمعوا لكلامه، وعلاوة على ذلك في أحد الأيام قال له أحدهم عن طريق استهزاء أنه: أظن أنك طالب علم؟ في ذاك الوقت ترك المجلس وخرج وجاء في اليوم التالي لابساً ثياباً فاخرة وعمامة كبيرة وأكمام واسعة ودخل المجلس. فقام له كل الحاضرين وجللّوه وأجلسوه في صدر المجلس!

وفي أثناء المذاكرة والمباحثة كان يعطي أجوبة خاطئة عن قصد، لكنهم كانوا يعتبرونها صحيحة. وعندما جاء وقت الغداء أجلسوه في صدر المجلس. عندها فتح كمه ومسكها بيده وقال: كُل يا كمي! فسأله الحَاضرون

---

(١) الإمام الخميني، ص٥٣.

ما مقصودك؟ فأجاب: أنا نفس ذاك الصديق البارحة، فإذا لم يكن هذا الكُمْ وهذه الثياب الفاخرة. ما كنت لأنال منكم هذا الاحترام. وعندما عرفوا قصده خجلوا من أنفسهم واعترفوا بخطأهم»[1].

الظاهر المخادع

يقول العلامة الشيخ محمد تقي الجعفري:

«كان العلامة السمناني المازندراني ساكن سمنان ورجل فاضل جداً، وكان أدبه العربي قوياً جداً؛ طبعاً أبيات شعره الفارسية كانت من الدرجة الثانية، لكن العربية كانت قوية. وكانت عنده معلومات بالعربية، وكانت معلوماته الفلسفية قوية جداً. وكان أصوله في حد عالٍ. على أي حال، كان العلامة الشيخ صالح، رجل له كمال وفاضل جداً. جلب لنا رسالة أحد الأصدقاء كان قد أرسلها هو وقال: أحب أن أراكم لكنني لا أستطيع المجيء إلى طهران، فإذا أمكن أن تأتوا أنتم إلى سمنان.

فتوجهت مع اثنين من الأصحاب وركبنا السيارة وذهبنا إلى سمنان.

لا اذكر دقيقاً إن كان قبل ٢٢ أو ٢٣ سنة [هذا الكلام للأستاذ جعفري كان في سنة ١٩٨٤ م] بعد سنتين أو ثلاثة من مجيىء من النجف، عندما وصلت بالقطار إلى موقف السكة الحديدة، رأيت أن هناك جمعاً كبيراً من الناس، كان الجمع يموج بشكل عجيب. بعدها نزلنا لنذهب إلى بيت العلامة. نفس الوقت الذي أردنا أن ننزل فيه من القطار كان هناك عالم آخر يريد النزول من القطار. وكان شكله ومظهره جذاب، ذهب الناس لعند ذاك الشيخ وقالوا: صلوا على محمد وآل محمد على سلامة العلامة الشيخ محمد تقي الجعفري!؟

---

(١) «فلاسفة الشيعة» ص٤٤٨.

فقلت للأصحاب، حسناً، بلاء كان سيحل بنا، لكنه مضى على خير. تدافع الناس وأصبح المكان مزدحماً جداً، وذهب الكل لعند ذاك العلامة. كان هناك كثير من وسائل النقل والعربات، لكن كلما طلبنا من أحد ايصالنا إلى بيت العلامة، فكان رد الجميع: كلا نريد أخذ ضيوف العلامة إلى بيته.

نعم، مهما حاولنا لم ينقلنا أحد. في ذاك الوقت لنفرض أن أجرة العربة كانت توماناً واحداً، فقال له هذا الصديق: سأعطيك! توامين وخذنا إلى بيت العلامة. فوافق مكرهاً وقال: اصعدوا!

فصعدنا وركب عدد آخر ومشى، وعندما دخلنا إلى الشوارع رأينا أن نفس المرحوم العلامة (السمنائي) أيضاً بيده عصا وذاهباً إلى البيت ماشياً، في ذاك الوقت كان عمر العلامة حوالي ٨٠ سنة، فقلت لصاحب العربة: هذا هو العلامة؟ فقال: نعم! فقلت: إذن انزلنا هنا لنذهب لخدمته. نزلنا وسلّمنا عليه. فقال: إذن أين هؤلاء الناس؟ أين العالم؟

فقلت: أي ناس؟ فقال: كنت قد بعثت الناس للقائكم. فقلت: الآن يصلون لخدمتكم، لكنه كان ذكياً جداً فقال: حتماً أنهم اشتبهوا بكم، والتقصير هو من منظركم، حتماً إنهم غلّطوا، ما هذا المظهر، انتبه لزيك ومظهرك قليلاً. ـ رحمة الله عليه ـ جيد أن الناس أكيد أنهم رأوا مظهرنا وزينا حتى لم يأتوا للقائنا. . . »[1].

المشي حافياً

كان الإمام الصادق ذاهباً مع أحد الأصحاب إلى بيت أحد الأقارب للتعزية، بين الطريق انقطع حبل حذاء الإمام الصادق عليه السلام وبشكل لم يعد الحذاء يثبت على قدم الإمام.

---

(١) «الميراث الخالد» ١/٨١٠٦

حمل الإمام حذاءه بيده وأكمل طريقه!

ابن أبي يعفور كان من كبار الصحابة للإمام نزع حذاءه، وأخذ منه الحبل ومد يده نحو الإمام، حتى يعطي الحبل للإمام لينتعل الإمام الحذاء ويذهب هو طوال الطريق حافياً.

فأدار الإمام وجهه عن عبد الله بعصبية ولم يقبل ذاك منه وافهمه إذا حصل شيء من الصعوبات لأحد، فهو الشخص الوحيد الأولى بتحمل تلك الصعوبات. وليس معناه أنه إذا حصل حادثة لشخص ما أن يتحمل الآخر صعوباتها[١].

* * *

(١) قصص الصالحين ص٨٣، القصة ٣٥.

الفصل الثلاثون

العمل إلى جانب التحصيل والتدريس

التعلق القلبي وضيق ذات اليد

يقول المرحوم آية الله السيد حسين شمس عن فترة دراسته:

«... في هاتين السنتين عندما كنت في طهران، كنت من الناحية المالية فقير جداً. وأظن أنني فقدت صحتي هناك وبسبب ضيق المعيشة ضعفت، ومرضت شهرين إثر الضعف الشديد، صمت أذناي... والشخص الذي يريد اللهث وراء الدنيا، لا يستطيع اكمال طلب العلم ولا يصبح عالم دين أو أستاذ. ومن المسلم أن يصبح هكذا. كبارنا هكذا كانوا. أنا سمعت عن أحد الكبار أنه كان يخيط لحافات ويعيش. لذا، هذا الطالب عليه تأمين ما يحتاجه لحياته وأن لا يلهث وراء شيء آخر ليضيع حياته ويتأخر عن درسه»[1].

الدرس والعمل

يقول الشهيد آية الله السيد حسن المدرّس:

«عندما جئت إلى أصفهان لإكمال علمي، كنت أحياناً أُجبر أن أذهب إلى بعض القرى وألبس ثياب أخرى للعمل حتى أهيىء مصاريف حياتي وطلب العلم»[2].

---

(١) مجلة الحوزة ١٣/١٨ و٣١.

(٢) كتاب «سيرة الصالحون» ص١٧٣.

المباحثة والدكان

الشيخ محمد تقي البافقي [أحد معارضي رضا شاه الخائن] كان معه مقدار بسيط من المال كرأس مال أخذه من (يزد) إلى (النجف)، وذلك في أوائل ذهابه إلى النجف الأشرف كي يؤمن مخارج ومصاريف حياته ومعيشته من غير الأموال الشرعية، كما كانت طريقة كثير من العلماء في الإسلام؛ كالشهيد، والمقدس الأردبيلي، والسيد ابن طاووس وآخرين. لذا بجانب الاشتغال بتحصيل العلوم الدينية، فتح متجراً للبقالة وكان زبائنه من الطلاب، لكن بسبب تقصير بعض الزبائن في دفع ديون أخذوها، خسر رأس ماله، وترك هذا العمل وبقي بعدها ١٧ سنة في النجف لتحصيل العلوم والمعارف الإسلامية»[١].

الفقيه الفلاح

كتب العالم الكبير، الشيخ يوسف البحراني، مؤلف كتاب «الحدائق الناظرة» ضمن شرح الحوادث التي حصلت له خلال حياته:

«بعد أن تغيرت أوضاع (شيراز) وحلت مصائب كثيرة بالأهالي واشتعلت نار الفتنة والمصيبة في تلك البلدة، ذهبت من هناك إلى بعض البلدان المجاورة وسكنت في قرية فسا [التي أصبحت الآن شبه قضاء]. في (فسا) انشغلت بالتحقيقات العلمية وصنفت كتاب الحدائق إلى باب الاغسال، وفي عين الحال، وكي لا احتاج للناس لإمرار معاشي وكي لا أطأطأ راسي أمام كل شخص، كنت أزرع وأفلح هناك»[٢].

---

(١) كتاب «سيرة الصالحين» ص٣٥٧.

(٢) «سيماء الصالحين» ص٤٠٥.

الرفش والتحصيل

جاء في سيرة العالم الزاهد الآخوند الملاّ عباس التربتي:

«انه قرر أن يذهب إلى مشهد، ويعمل في النهار ويدرس في الليل وهكذا فعل. حتى أنه كان يقول: في أحد الأيام كنت في حرم الإمام الرضا عليه السلام مشغولاً بالزيارة عندما رأيت أن يداً مُدّت إليّ من ورائي على كتفي نظرت فرأيت أنه والدي جاء ليأخذني معه، رقّ قلبي كثيراً لأنه كان رجل كبير في السن ووحيد وليس لديه مساعد وكنت ولده الذكر الوحيد. هذا كان سبب عودتي معه مع كل شوقي لتحصيل العلم فرجعت إلى بلدتي (تربة).

ويضيف الحاج آقا راشد: «عندما تزوج والدي ولكي يستطيع اكمال دراسته كان يعمل في الزراعة، وكان يفكر بشيء آخر أنه إذا لم يستطع الحصول على مقصوده على الأقل أن يحصل على بعضه. كان يعمل خمسة أيام في الأسبوع، ذاك العمل الذي أشرنا إليه في السابق. وفي كل يوم خميس كانت والدتي تصنع العجين وكانت تصنع عدداً من فطائر الخبز بالزبدة من الدرجة الأولى التي كانت تصنعها هي. فكان والدي يلفها بقطعة من البلاستيك يضعهم في المخلاة على ظهره ويأخذ كتبه تحت إبطه في أوائل وقت الظهر، يصلي صلاة الظهر والعصر ويذهب ماشياً إلى بيت الشيخ عالمي الذي يدرس عنده متن كتب الفقه والأصول، كان يدخل ويخرج الفطائر الزبدة التي كان أولاد ذاك الشيخ يحبونها كثيراً وكانوا يعدون الإيام

كي تأتي ليلة الجمعة ويأتي ذاك الرجل الذي يجلب الفطائر اللذيذة معه، ويتعلم من الشيخ في هذا الوقت بمقدار أسبوع من كتب المعالم والقوانين في الأصول؛ وشرح اللمعة والشرائع في الفقه، وظهر الجمعة بعد أداء صلاة الجمعة كان يعود إلى القرية، ومن الغد كان يبدأ بعمل الفلاحة وخلال العمل كان يحضّر الدروس ليوم الخميس القادم»[1].

الفرص الذهبية في حقل القمح الذهبي

يقول الحاج راشد عن والده:

«كانت والدتي تقول: كان والدك يأخذني معه إلى الحقل كي يقرأ لي كل ما حفظه عن ظهر قلب، وكان يفتح الكتاب ويعطيني إياه في يدي كي انظر إليه. كان يقرأ متن الكتب في حال العمل وكان الرفش بيده أو في حين أداء أي عمل آخر، وكنت أنا أتابع عن الكتاب. وفي بعض الأحيان كان البحث يحتاج «لمباحث» وتقرير كان يقرره لي كي يبقى في باله، وفي أحد الأيام عندما كان يحصد القمح. قرأ أبيات «الألفية لابن مالك» وهي ألف بيت من الشعر قرأها من الأول إلى الآخر وبالعكس من الآخر إلى الأول، ولم يخطىء أبداً، وكنت استمع إليه وانظر إلى الكتاب فلم يغلط!»[2].

العمل لحفظ الإيمان

كان آية الله زين العابدين المازندراني صاحب «رسالة» ومرجع تقليد،

---

(١) «الفضائل المنسية» ص١٦١ ـ ١٦٣.

(٢) «الفضائل المنسية» ص١٦٣.

كان يسكن في طهران؛ وعندما أحس، أن رضا خان بهلوي يريد أخذ توقيعه بوجه غير شرعي، خرج من بيته إلى مكان غير معروف، وعمل تلميذاً لأحد أصحاب البقالة حتى انخمدت الأصوات، وبعدها عاد إلى بيته[1].

* * *

(١) نقلاً عن آية الله الشيخ علي بناه الاشتهاردي ـ في ٢٠/١٢/١٩٩٦م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة